إذا قام الإسلام
في العراق

آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

عندما قام الإسلام كان أهم شيء في جذب الناس نحوه هو ما رأوا فيه من المثالية والواقعية واحترام الإنسان وتوفير حاجاته، ولذا لم يحتج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا إلى تعريف مفاهيم الإسلام وتطبيقها عمليا.

ولقد كان ذلك هو السر في تقد م الإسلام تقد ما هائلاً وسريعاً حتى ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لما فتح مكة المكرمة التي كانت عاصمة الشرك والكفر والتي قادت الحروب الساخنة والباردة ضد الرسول عفى عن الجميع(١) ولم يسترجع هو (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون الأولون دورهم التي اغتصبها الكفار، بعد هجرة المسلمين من مكة المكرمة وانما سكنوا الصحراء في الخيام(٢).

إضافة إلى أشياء وأشياء كانت من أفضل مقو مات ثبات الإسلام وحسن سمعته مثل (اللاعنف) و (حسن الأخلاق) وغير ذلك ولذا لم يضطر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ كي يضمن الاستقرار في عاصمة الكفر بعد فتحها ـ لأن يجعل في مكة جيشا أو شرطة أو حامية أو غير ذلك من أسباب القوة والحماية لأن الأهالي أصبحوا هم الحفظة للبلاد، والأعوان في تطبيق الإسلام، وصاروا من أشد أنصاره بعد أن كانوا من أشد أعدائه حتى ان النبي جعل في مكة حاكما واحدا من أهل مكة فقط وفقط وقرر له شيئا ضئيلا من المال يعيش به كإنسان عادي.

وهكذا فعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل بلد فتحه أو عشيرة خضعت لحكمه.

هذا بالإضافة إلى انه (صلى الله عليه وآله وسلم) عاش كأبسط إنسان طيلة حياته ـ قبل تسلمه مقاليد الحكم وبعده ـ إلى أن توفاه الله سبحانه حتى صدق عليه: (كان فينا كأحدنا)(٣) بأوضح الصور. وكان يبر بالأعداء حسب قوله سبحانه: ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم))(٤) وبارا بالمسلمين حسب قوله سبحانه: ((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ

١ـ راجع الكافي: ج٣ ص٥١٣ ح٢.

٢ـ راجع الكافي: ج٥ ص٤٤-٤٥ ح٤.

٣ـ كشف الغمة ج١ ص٧٧، العدد القوية ص٢٤٩، بحار الانوار: ج٤١ ص١٤٧ ب١٠٧ ح٤٥ (بيان).

٤ـ سورة الممتحنة: ٨.

القلب لانفضوا من حولك))(١) وقوله تعالى: ((بالمؤمنين رؤوف رحيم))(٢).

وكذلك كان منهج الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)(٣).

فإذا قام الإسلام ـ ثانياً ـ بإذن الله سبحانه فلابد من اتخاذ نفس المنهج الذي عمل به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تطبيق الحكم مع ملاحظة عامل الزمن وضرورة عمل الحكام بقول الإمام علي (عليه السلام): (فليتأس متأس بنبيه وإلا فلا يأمنن الهلكة)(٤).

فإذا عمل بمنهج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ازدهر الإسلام وتقدم المسلمون كزمانه (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلا فلا يؤمن من تشويه سمعته وتضاؤل مكانته بما لا يرغب فيه المسلم بل كل محب للحقيقة.

وهذا الكتاب (إذا قام الإسلام في العراق) إلماع إلى بعض الخطوط العريضة مما اقتبس من سيرته العطرة مع رعاية التطبيق الزمني لعل الله سبحانه يقيض الحكام العاملين به لينال المسلمون سعادة الدنيا والآخرة وهو الموفق المستعان.

قم المقدسة

١/ ربيع الثاني/١٤١٥هـ ق

محمد الشيرازي

١ـ سورة آل عمران: ١٥٩.

٢ـ سورة التوبة: ١٢٨، راجع لمزيد التفصيل عن حياة وسيرة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاب (ولاول مرة في تاريخ العالم) و (باقة عطرة) و (السيرة الفواحة) و.. للإمام المؤلف (دام ظله).

٣ـ راجع كتاب (الحكومة الاسلامية في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام)) و (حكومة الرسول (ص) والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للإمام المؤلف (دام ظله).

٤ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠، وفيه: (فتأسى متأس بنبيه واقتص أثره وولج مولجه والا فلا يأمن الهلكة).

١

عدم تلويث الثورة بالدم

ان إراقة الدماء تقود الحكم نحو التحطم والفناء إن لم يكن في القريب ففي البعيد، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله)(١).

فالحكم الذي يوغل في قتل الناس ويتورط في دمائهم يبدأ العد العكسي لسقوطه، فإن الناس لا يصبرون على قتل أولادهم وإخوانهم وآبائهم وذويهم وأصدقائهم فيأخذون في ذم القاتل وترصد عثراته وينصرفون إلى هدم كيانه وإسقاط شرعيته وإثارة الرأي العام ضده فالحكم الذي لا يقوم على ولاء الشعب يفقد مقومات البقاء.

وسقوط الحاكم المتلوثة يده بدماء شعبه يبدأ من جرائم متناثرة.. فقتل هنا وقتل هناك وهكذا تتراكم حتى يسقط الحكم(٢).

وخصوصا إذا تبنت الدولة قتل الأفراد تحت ستار انها من فئة معينة تختلف معها، أو من حزب سياسي أو جماعة دينية أو مجموعات انخرطت في تجارة السلاح أو المواد المخدرة أو ما أشبه ذلك حيث ان هذه المقاتل والمجازر وإن حصلت تحت مظلة القانون عبر تشكيل المحاكم الصورية التي ظاهرها القانون والعدالة وحفظ النظام وباطنها تعبيد الطريق للحاكم وأعوانه وتثبيتهم في الحكم أكثر فأكثر... كما يتوهمون!.

ومن المعلوم، ان ذلك من أكبر معاول هدم الدولة، إذ ان الدولة تحتاج إلى أكثر قدر من الالتفات الشعبي والشرعي حولها ومعاونتها والدفاع عنها.. فإذا لم يتحقق ذلك كانت في طريق الزوال فكيف إذا انقلب الأمر فصار الأعوان أعداءاً والأنصار خصماء.

وقد رأيت أنا دولاً، وكما يتحدث التاريخ عن امبراطوريات ودول، كانت فيها مقومات البقاء مئات السنين إلا انها قلصت أعمارها لسنوات معدودات فقط لشهوتها في قتل الناس وولوغها في دمائهم.

ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقتل حتى قاتل عمه حمزة وقاتل بنته زينب وحفيده ـ في قصتين

١ـ مستدرك الوسائل: ج١٨ ص٢١١ ب٢ ح٤، وثواب الأعمال ص٢٧٦ عقاب من أعان على قتل مؤمن.

٢ـ لقد أثبت التاريخ قديماً وحديثاً ان الدولة التي تتخذ الإرهاب والقمع وسيلة لإرساء قواعد حكمها، سوف تسقط في نفس المستنقع الذي أوجدته بيدها، فالعنف يولد عنفاً مضاعفاً، وهكذا تسقط الدولة ـ التي من المفروض ان توجد الأمن والاستقرار ـ في دوامة الاضطرابات والانقلابات والمجازر الدموية، كما رأينا ذلك في الانظمة العراقية التي وصلت الى الحكم بالانقلابات العسكرية، وبدأت ارهاباً منظماً ضد الشعب العراقي بالتهجير والاعدام والاغتيال والتعذيب والسجن، ولكن هذا العنف انعكس على انفسهم فأخذوا بتصفية نفس الاعضاء الذين شاركوا في الجرائم.. وهكذا فإن العنف يأكل نفسه أولاً قبل غيره.

مشهورتين(١) ـ لا لأنهما لم يستحقا القتل بل ملاحظة لما ذكرناه وغيره. وكذلك الإمام علي (عليه السلام) عفى عن مجرمي الحرب الذين تم أسرهم في حروبه الثلاثة(٢) أليس في ذلك أكبر العبر وأعظم الدروس للذين يريدون النهضة بالإسلام؟.

وعلى هذا: فإذا اضطر ت الدولة إلى استخدام القوة في تطبيق القانون فاللازم أن لا يعدو ذلك السجن في الموارد الخاصة القليلة جداً وبعض الغرامات البسيطة وذلك عبر المحاكم الشرعية والإنسانية التي توفر جميع الضمانات الحقوقية لإجراء العدالة(٣).

وبذلك يمكن تفادي مشكلة إطلاق المجرم يعيث كما يشاء ومشكلة تلويث الثورة بالدم(٤).

ومما يضعف الدولة أيضا: تعذيب الناس وإرهابهم ونشر فضائح واقعية أو مزعومة لهم ومصادرة أموالهم إلى غير ذلك مما هو كثير.

٢

العفو العام

من اللازم على الدولة الإسلامية الناهضة إعلان العفو العام عن كل من أجرم قبل قيام الدولة، وهذا الأمر في غاية الأهمية من ناحية وفي غاية الصعوبة من ناحية ثانية.

ان العفو العام يسبب اطمئنان الناس بالحكومة القائمة مما يؤد ي إلى تعاونهم مع الحكومة، وهذا يعني انتشار الاستقرار والأمن، والحكومة خصوصا في أول أمرها بحاجة إلى التعاون الواسع من الناس.

ولذا عفى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أهل مكة(٥) وعفى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عن أهل البصرة(٦) ولما ظفر بأهل النهروان عفى (عليه السلام) عنهم.

وعدم العفو يوقع الحكومة في مشاكل لا تعدّ حيث ان القتل والملاحقة لا تبقى في دائرة خاصة بل تتعداها إلى

١ـ راجع (ولاول مرة في تاريخ العالم) ج١-٢ للإمام المؤلف (دام ظله).

٢ـ راجع بحار الانوار ج٤١ ص٥٠ ب ١٠٤ ح٣ وص ١٤٥- ١٤٦.

٣ـ راجع موسوعة الفقه ج١٠١ و١٠٢ كتاب (الدولة الاسلامية) وج ١٠٠ كتاب (الحقوق) وغيرهما للإمام المؤلف (دام ظله).

٤ـ ان القضاء على المجرم بإعدامه أو قتله، ليست وسيلة ناجحة لإزالة الإجرام، بل لابد ان يكون ذلك عبر حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بصورة جذرية، فلا يمكن ان نقضي على السرقة مادام الفقر متفشياً، فالدولة المتزنة والمتعقلة هي التي تعالج مشاكلها بصورة هادئة بعيداً عن الاجراءات العنيفة والارتجالية.

٥ـ راجع بحار الانوار: ج٤١ ص١٤٥ ب١٠٧ ح٤٥.

٦ـ راجع بحار الانوار: ج٤١ ص١٤٥ ب١٠٧ ح٤٥.

دوائر أوسع وأوسع كالحجر إذا القيته في الماء حيث تتسع دوائر أمواجه.

هذا بالإضافة إلى ان عدم العفو من معانيه ـ أيضاً ـ: مصادرة الأموال، وكلا الأمرين يوجبان تكوين الأعداء، وأحيانا يسقط أولئك الأعداء الحكومة كما شاهدنا ذلك في بعض الحكومات التي قامت في العراق فتكاتف أعداؤها عليها حتى أسقطوها.

هذا بالإضافة إلى ان عدم العفو يوجب تأليب الإعلام في سائر البلاد على الحكومة الفتية مما يسبب فقدان شوكتها وضياع سمعتها وذلك يوجب الفشل قال سبحانه: ((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم))(١)..

وإذا اشتغلت أجهزة الدولة الفتية بالقتل والمصادرة والعداوات استفزت المناوئين لها بإظهار الأحقاد وتشغيل ماكنة العداوات القديمة للانتقام منهم مما توقع الدولة في مشكلة لا منجى لها منها، بينما كان اللازم على الدولة الجديدة حل المشكلات القديمة لا إيجاد مشكلات جديدة فإنها توقفها عن البناء وتزيدها وهنا على وهن.

وهذا ـ العفو العام ـ هو الأصل وإذا كان استثناء فاللازم أن تقد ر بقدر أقصى الضرورة كما وكيفا.

٣

حسن السمعة

الإنسان ـ غالبا ـ يعيش بحسن السمعة فإذا فقد إمام الجماعة سمعته أو مرجع التقليد أو الخطيب أو المعلم أو التاجر أو الموظف أو... انفض الناس من حولهم فلا يحضرون صلاته ولا يقلدونه ولا يجتمعون حول منبره و لا يفوّضون تعليم أولادهم إليه ولا يتعاملون معه بل يعزلونه عن وظيفته وهكذا.

والتجمع حاله حال الأفراد سواءً كان هيئة أو منظمة أو جمعية أو جماعة أو حزبا أو حكومة، فإذا فقدت الحكومة سمعتها تسقط، إذا كانت حكومة ديمقراطية ويبدلها الناس بحكومة أخرى.

أما إذا كانت غير ديمقراطية فإنها تسقط بثورة الشعب أو شبه ذلك كما رأينا ذلك في الحكومات الديكتاتورية على طول التاريخ(٢).

فكثرة السلاح وكثرة الاستخبارات وكثرة الإعلام والدعاية الكاذبة غير نافعة حتى بمقدار شروي نقير في الحيلولة دون سقوط الحكومة.

وقد قال الإمام علي (عليه السلام): (من استبد برأيه هلك)(٣).

فإن العقل هو سبب الحياة فإذا فقد الإنسان ـ فردا أو جماعة ـ العقل بالاستبداد هلك قريبا أو بعيدا وهذا صادق في الجماعة كما هو صادق في الفرد.

١ـ سورة الانفال: ٤٦.

٢ـ كحكومة (الشاه) و (قاسم) و (سلام) و (انور خوجه) و (تشاوسيسكو) وغيرهم.

٣ـ غرر الحكم ودرر الكلم ص٤٤٣ الفصل الاول في المشاورة، الحديث ١٠١١١، ونهج البلاغة: قصار الحكم ١٦١.

ولذا فمن الضروري على الحكومة الإسلامية الفتية أن تواظب أشد المواظبة على حسن سمعتها وذلك غير ممكن إلا بأن تكون استشارية وشعبية ومتواضعة وخدومة ومتدينة فإن المسلمين ـ وهم الأكثرية الساحقة في بلاد الإسلام – لا يقبلون بالموظف غير المتدين فكيف بالحاكم، إلى غير ذلك.

ولا يزعم الحاكم أو الموظف أن بمقدوره مزاولة (اللادينية) في الأصول أو الفروع بعيداً عن أعين الناس فقد قال سبحانه: ((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون))(١).

٤

العمل أولا: قبل الشعار

الشعار العنيف والمجرد من العمل يخلق الاستفزاز مما يجلب كراهية العقلاء، وغالبا ما يستغله السفهاء لإيذاء الآخرين، ولذا فاللازم تركه إلا في أقصى موارد الضرورة.

والتمسك بالشعار الفارغ وإن كان يتصور فائدته على مستوى السطح ولكنه يضر في العمق لأنه يصرف الأنظار والأفكار عن حقيقة العمل وعمقه إلى مجرد الكلام. وكذلك كونه وقتيا لا يستمر في تأثيره طول الخط.

وقد قال ذلك الكافر ـ لما رأى جيش الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): قوائم سيوفهم بأيديهم: ـ (يتلمظون تلمظ الأفاعي)(٢).

وقد كان شعار إحدى الأحزاب الإسلامية: (اعمل ولا تتكلم) ولذلك نجح في إنقاذ بلاده من الاستعمار الذي دام أكثر من قرن.

ثم ان بعض السطحيين ينظرون إلى الشعار ويتمسكون به ويتركون العمل به ولكن العقلاء لا ينظرون إلا إلى العمل المدروس حسب الفكر المنطقي وقد قال الإمام (عليه السلام): (كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم)(٣) فالعمل هو مقياس الحياة لا مجرد القول.

ثم ان الشعار غالبا ما يكون فيه مبالغة أكثر من الواقع الموجود مما يؤدي إلى الإضرار بالواقع بسبب مبالغة الشعار، فإذا قلت للناس على سبيل المثال: ان لك مائة مؤسسة والحال ان لك تسعين، فسيشككون في حقيقة عملك وينفون حتى التسعين أيضا.

أما إذا لم تقل شيئا وركزت جهودك على عملك وأدائه على أحسن وجه ظنوا بك خيرا وكبر عملك في أعينهم فالعامل المجد الصامت يظن الناس به فوق حقه بينما المكثار في الكلام يظن الناس به دون حقه ويشكون في أصل عمله حتى لو كان عاملا.

ولهذا لابد أن يكون فعل الإنسان أكثر من قوله وينبغي أن لا يكون حتى مساويا له فكيف يكون العمل أقل من

١ـ سورة التوبة: ١٠٥.

٢ـ تفسير القمي ج١ ص٢٦٢ سورة الانفال.

٣ـ مشكاة الانوار ص٤٦ و الكافي: ج٢ ص٧٨ ح١٤.

القول، والشعار من القول، والواقع من العمل، ولذلك قالوا: يلزم على الإنسان أن يتحسب لعدوه في حالين:

الأول: إذا رآه يعمل بما يخشى عاقبته.

الثاني: إذا رآه يطلق شعارات أكبر من حجمه وواقعه، لأن معنى ذلك أنه يتجه نحو الطريق الخاطئ.

ومن مساوئ الشعار: انه يوجب طمع الأصدقاء بما لا يتمكن من أطلق الشعار من إنجازه وبذلك يخسر أصدقاءه بالإضافة إلى استفزاز أعدائه لأنه بإطلاق الشعار الكبير يوجه الأنظار إليه بحيث يعتقد الآخرون أنه يملك الكثير حسب ما يصدره من شعارات، لذلك يتوقع الأصدقاء منه أكثر من إمكانيته ويستفز أعداءه فيحاولون أن يحطموه لكي لا يتفوق عليهم(١).

٥

الدستور

يختلف الدستور والقانون في الدولة الإسلامية عن الدستور في الدول الديمقراطية، فهو يستند على الكتاب والسنة والإجماع والعقل ولا يوجد دستور كما هو موجود في بعض الدول مما يمتلك صفة الثبات،بل هو يتغير حسب استنباطات واجتهادات شورى الفقهاء الذين ارتضتهم الأمة مراجع لها جيلا بعد جيل وفترة بعد فترة.

فكثيراً ما يكون الدستور الثابت والذي وضع قبل عشرين عاما لا يتلاءم مع تطورات الحياة اليومية مما يولد ثغرات سياسية واجتماعية وأزمات جذرية حادة. أما القانون الإسلامي فيستطيع أن يواكب جميع التطورات.

والذي يستنبط الأحكام والقوانين هم الفقهاء الذين هم مراجع المسلمين شيعة أو سنة كل لأهل مذهبه.

أما القياس والاستحسان عندنا ـ الشيعة ـ فغير صحيح وأما عند من يرى حجيتهما فيرجعان في نظره إلى الأدلة الأربعة المذكورة، وكذلك حال المصالح المرسلة عند من يراها موضوعا أو حكماً(٢).

إذن لا قانون أساسي في الإسلام ـ بالمعنى المصطلح ـ وانما الموجود: الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

وان عمر القانون الأساسي في بلاد الإسلام، هو عمر دخول المستعمرين فيها والجدير بالذكر ان بريطانيا التي كانت وراء إيجاد القانون الأساسي في تركيا وإيران ليس لها في بلادها دستور ثابت بل يتبعون العرف فيما

١ـ وغالباً يكون من يطلق الشعارات الخالية والكبيرة هم الديكتاتوريون الذين يحاولون ان يخدعوا شعوبهم والشعوب الاخرى بأنهم يفعلون الكثير وانهم متقدمون ومتطورون، ولاشك انه لا محاسب ولا رقيب ولا صحافة حرة تتابع كلماتهم وشعاراتهم وتحاسبهم على ذلك، وتكشف واقعهم العملي، فالديكتاتور لا يعمل ابداً بل يطلق الشعار ليرضي جبروت ذاته، وتسانده في ذلك أجهزته الاعلامية التي تعمل له، لذلك يقل العمل وتتخلف البلاد.

اما في الانظمة الاستشارية والديمقراطية فانه لا يمكن ـ عادة ـ التكلم واطلاق الشعارات عبثاً، فان كل كلمة يحاسب عليها الحكام من قبل المؤسسات الدستورية والاحزاب المعارضة والصحافة الحرة، ولذلك يكثر العمل ويقل الكلام وتتقدم البلاد.

٢ـ راجع حول هذا المبحث كتاب (الفقه: القانون) للإمام المؤلف.

أسموه (العرف الدستوري).

وانما أنشئوا الدستور في بلاد الإسلام لإيقاف عجلة التقدم وصنع بديل للأدلة الأربعة وإدخال المجتمع الإسلامي في تقييدات القوانين الجامدة وتكبيل الناس.

وان المشروطة التي أقامها الآخوند (قدس سره) وسائر العلماء ـ في ايران ـ حرفها البريطانيون لأجل انتزاع السلطة من أيدي الروس لصالحهم وبهذا القانون الأساسي الذي يخدم مصالحهم جاءوا بالحكام الاستبداديين كالبهلوي واتاتورك إلى هذين البلد ين المسلمين(١) وسلبوا بذلك دينهم ودنياهم.

ثم ان الدستور الثابت يواجه إشكالاً عقلياً وشرعياً وعرفيا، فلنفرض ان مائة مجتهد عادل وضعوا قانونا أساسيا حسب اجتهادهم ثم ماتوا وقلد الناس مجتهدين أحياء آخرين فما الذي يبرر بقاء ذلك القانون الذي سمي بالأساسي من شرع أو عقل فيما إذا رأى أكثرية مراجع الأمة الأحياء خلاف ذلك؟.

أما الشرع: فيرى تقليد الأحياء ـ بالنسبة إلى من يريدون التقليد جديدا ـ وفي القضايا المستجدة.

وأما العقل: فماذا الذي يلزم الأحياء باتباع قانون وضعه الأموات؟

وإن قلت: انه مطابق للكتاب والسنة.

قلنا: فلماذا الواسطة بل يرجع المسلمون إلى الكتاب والسنة.

لا يقال: فعن ماذا يأخذون القوانين؟.

لأنه يقال: يأخذون القوانين عن رسائل المجتهدين الأحياء بأكثرية الآراء والطريقة المثلى لتطبيق ذلك هو (شورى الفقهاء المراجع) الذي ينتخب من قبل الشعب.

وأما أهل السنة فيأخذون بأكثرية المذاهب الأربعة إلا إذا رأى أكثرية علمائهم الأحياء التغيير في بعض القوانين(٢).

٦

التدرج في التطبيق

لقد تدرج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تطبيق الإسلام مع ان الشريعة كانت كاملة من عند الله سبحانه قبل ذلك، حيث نزل القرآن على قلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دفعة واحدة ثم نزل منجما لكن ذلك لايقاس بما إذا أمكن التطبيق الدفعي لأن الدين كمل قبل ارتحال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد قال سبحانه: ((اليوم أكملت لكم دينكم))(٣).

١ـ ايران وتركيا.

٢ـ راجع حول هذه المباحث كتاب (الشورى في الاسلام) و (الفقه السياسة) و (الفقه طريق النجاة) للإمام المؤلف و (شورى الفقهاء) لنجله آية الله السيد مرتضى الشيرازي.

٣ـ سورة المائدة: ٣، ونزلت الآية في يوم الغدير بعد ما نصب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه

وانما نحن نقول بالتطبيق التدريجي إذا قامت الدولة الإسلامية في العراق أو في غير العراق لعدم إمكان غير ذلك إمكانا عاديا على ضوء الظروف الراهنة، فاللازم التدرج في التطبيق حسب الإمكان بما لا يوجب اضطرابا في المجتمع يؤدي إلى التحطم أو إلى إشكالات مرفوعة من العسر والحرج والضرر، في بعض الموارد، حيث لابد أن تدرس إمكانية التطبيق حسب قانون (الأهم والمهم).

فاللازم على الدولة الإسلامية الفتية أن تقوم بتشكيل لجان مكونة من علماء الإسلام ومن الخبراء والأخصائيين، حتى يحددوا الأولويات في سلم التدرج بما لا يوجب اهتزازا في الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع أو الإدارة أو غير ذلك مما لا يحمد عقباه.

فمثلا: إذا أريد تبديل البنوك الربوية إلى البنوك التي تعمل حسب نظام المضاربة فإذا أعلنت الدولة عن إلغاء كل أقسام الربا مرة واحدة ـ في أسبوع مثلاً ـ حدثت إحدى مشكلتين:

اما أن تمنع الدولة سحب رؤوس الأموال من البنوك وذلك يوجب اضطرابا عند أصحاب الأموال وتهريجا ضد الحكم القائم وإسقاطا لقانون (الناس مسلطون على أموالهم)(١).

واما أن لا تمنع، وذلك يوجب تهريب أصحاب الأموال أموالهم إلى الخارج مما يؤدي إلى إفلاس البنوك،والتضخم الضار بالفقراء والمشاريع والأجور مما يوجب تلوث سمعة الدولة وتصور الناس ان الحكم السابق كان أفضل، وهذا مما يشوه سمعة الإسلام ويؤدي إلى أن يزعموا ان طريقة الغرب هي المثلى، لا الإسلام.

وهكذا الحال بالنسبة إلى سائر القوانين فلابد أن يلاحظ التدرج في تطبيق القوانين حسب الدراسة الدقيقة التي تجريها اللجان المشتركة بين علماء الدين والخبراء، وبالتعاون مع المؤسسات على اختلاف أنواعها.

٧

القوانين الحيوية

ان كل قوانين الإسلام حيوية حيث انها دساتير من قبل إله قدير رحيم حكيم محيط بكل الزوايا والخصوصيات الفردية والاجتماعية، النفسية والجسمية، الحالية والمستقبلية... وقد قال سبحانه: ((إذا دعاكم لما يحييكم))(٢) ولكن بعض قوانينه هي أكثر ظهورا في الحيوية من البعض الآخر مثل:

قانون (بيت المال).

وقانون: (تسلط الناس على أموالهم وأنفسهم).

السلام) أميرا للمؤمنين وخليفة من بعده.

١ـ غوالي اللئالي ج١ ص٢٢٢ ح٩٩ الفصل التاسع، الغوالي ج٢ ص١٣٨، نهج الحق ص٥٠٤ الفصل الثامن.

٢ـ سورة الانفال: ٢٤.

وقانون: (من سبق إلى ما لا يسبقه إليه مسلم فهو أحق به)(١).

وقانون: (الأرض لله ولمن عمرها)(٢).

فاللازم على الحكومة الإسلامية الفتية أن تهتم بهذه القوانين أكبر اهتمام وتقوم بتطبيقها بجدية وواقعية.

فقانون (بيت المال) يعطي حوائج المحتاجين مما يرضي الناس، المحتاجين منهم وسائر الطبقات أيضا لأن الفائض يقسم على جميع الشعب.

وقانون (تسلط الناس على أموالهم وأنفسهم) يعطيهم الحريات الواسعة التي ترضي طبقات المجتمع وتفسح لهم المجال لممارسة حقوقها ونشاطاتها.

فإن من طبيعة الإنسان أن لا يرضى بسيادة غيره عليه وتحكمه فيه فإذا أدرك ان الدولة الحاكمة تفسح له المجال في تصرفاته البدنية والمالية ـ إلا في الحرام ـ رضي عن نظام الحكم وتفاعل معه ورضخ لأوامره.

وهذا هو سبب ما نراه من بقاء الحكومات الديمقراطية وطول استمرارها ودوامها وثراءها الكبير في حين تسقط الحكومات الدكتاتورية سريعا.. والحال أنها تجعل الشعب فقيرا ذليلا لا يجد لحوائجه متنفساً.

وقانون (من سبق) يعطي الناس الاستفادة من كل خيرات الأرض في إطار ((لكم))(٣).

وهذا القانون منضما إلى قانون (الأرض لله ولمن عمرها)(٤) لا يدع لأي إنسان متمكن من العمل والسعي حاجة إلا قضاها وبضميمة قانون (بيت المال) إليها لا يبقى أيضا لإنسان عاجز عن السعي حاجة.

وقد أخذ الغرب ببعض هذه القوانين فتقدم ذلك التقدم بينما المسلمون تركوها كلها فسقطوا ذلك السقوط المؤلم حيث لم يسبقه في التاريخ الإسلامي من قبل مثيل(٥) وقد قال الإمام علي (عليه السلام): (الله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم)(٦).

وعلى هذا فاللازم على الحكومة الإسلامية في العراق وغيرها أن تهتم بتطبيق هذه القوانين وأمثالها اهتماما بالغا حيث ان فيها رضى الله سبحانه ورضى الأمة لأنها تقودها نحو مدارج السعادة والكمال.

ومن الضروري أيضا: إعادة قانون (الاخوة الإسلامية) فإن لكل مسلم أن يعمل مثل أعمال سائر المسلمين في العراق في كل الشؤون من: تملك الأرض والزواج والتجارة والسبق إلى المباحاة وغير ذلك.

وحيث ان العراق مركز الزيارات للعتبات المقدسة ومركز الحوزات العلمية في مختلف مدنها فاللازم أن

١ـ غوالي اللئالي: ج٣ ص٤٨٠ ح٤.

٢ـ الكافي: ج٥ ص٢٧٩ ح٢.

٣ـ سورة البقرة: ٢٩) هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً (.

٤ـ الكافي: ج٥ ص٢٧٩ ح٢.

٥ـ ان من المشاكل الاساسية التي تواجه بعض المسلمين في البلاد الاسلامية هي تلك الانهزامية النفسية والفكرية أمام الغرب والدول المتقدمة حيث جعلتها تتخلى عن قوانين الاسلام مما أوقعها في حضيض التخلف، ولكن اذا حاول المسلمون ان يفهموا قوانين الاسلام بصورة جيدة، وطبقوها بشكل جدي وصحيح، فانهم قادرون على حل مشاكلهم والتقدم نحو الأمام ان شاء الله.

٦ـ نهج البلاغة: الكتاب ٤٧، روضة الواعظين ص١٣٦.

يسمح لكل من أراد الزيارة أو الدراسة بالسفر إلى العراق والبقاء فيها كما كان الأمر كذلك منذ أول الإسلام، وللزائر والطالب كامل الحرية في ما يشاء في الإطار الإسلامي الإنساني.

٨

نظام العقوبات

ان النظام والأمن لا يستتب إلا بعقاب المجرم، والعقوبات المقررة في الشريعة الإسلامية على قسمين:

الأول: لأجل انتهاك حق الله، مثل شرب الخمر والزنا.

الثاني: لأجل انتهاك حق الإنسان، مثل القتل والقذف.

وقد قررت الشريعة كلا العقابين مما ذكر في كتاب الحدود والقصاص.

والذي أرى ـ وإن كان اللازم مراجعة شورى الفقهاء المراجع وأخذ آرائهم في الأمر: ان الدولة الإسلامية إذا قامت يلزم إرجاء العقوبات في القسمين إلى التأديب لمدة خمس سنوات مثلا.

وانما تبد ل إلى التأديب بالسجن ونحوه مما يصلح أن يكون رادعا ـ حسب رأي أكثرية شورى الفقهاء المراجع منضمين إلى الخبراء ـ كما وكيفا حتى تستولي الحكومة على مقاليد الأمور وحتى يطبق الإسلام في جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها مما يرتبط بالعقوبات وذلك لأمور:

الأول: ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يطبق العقوبات إلا بعد تطبيقه الإسلام في المدينة المنورة وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) أسوة(١). فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) طبق القوانين ككل لا يتجزأ.

الثاني: قوله سبحانه: ((ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها))(٢) وقبل التطبيق الكامل للإسلام لا يكون إصلاح ـ بالحمل الشائع ـ فتأمل.

الثالث: قانون الأهم والمهم وهو قانون عقلي وعقلائي وقد أشار إليه القرآن الحكيم بقوله تعالى: ((ولولا أن يكون الناس أمة واحدة))(٣).

والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال ـ ما مضمونه ـ: (لولا ان الناس يقولون...).

وفي حديث عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (لولا ان قومك حديثوا عهد بالإسلام لهدمت الكعبة وجعلت لها بابين)(٤).

وقول علي (عليه السلام): (لانهدم طرف من عسكري)(٥).

١ـ راجع سورة الاحزاب: ٢١.

٢ـ سورة الاعراف: ٥٦.

٣ـ سورة الزخرف: ٣٣.

٤ـ العمدة ص ٣١٧ ح٥٣٢ حديث حريق الكعبة. وفيه: (حديثوا عهد بالشرك).

٥ـ كتاب سليم بن قيس ص١٦١ وراجع الكافي ج٨ ص٦٣ ح٢١، وفيه: (خفت ان يثوروا في ناحية عسكري).

وترك (عليه السلام) شريحا على منصبه.

وترك القائمين بصلاة البدعة رغم انه (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى عن ذلك مجر د نهي ولم يرتدعوا.

والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يعاقب الفار ين عن الزحف وفاعلي جملة من المنكرات.

وحتى لا تشوه سمعة الإسلام وغير ذلك ولذا لا يجرى الحد في أرض العدو كما ذكرنا تفصيله في كتاب (الفقه: القواعد الفقهية) وغيره.

إضافة إلى ان (الحدود تدرأ بالشبهات)(١) وان الإسلام جعل للحدود شرائط كثيرة قد تكون بعضها تعجيزية في بعض الأحيان وذلك لأن الإسلام يقلع الفساد من جذوره، فلا فقر ولا.. فتقل الجرائم طبيعياً..

والتاريخ الإسلامي أفضل دليل على ذلك(٢).

أما ما نراه اليوم من كثرة المشاكل وزيادة الفساد في كثير من البلاد الإسلامية فلترك القوانين الإسلامية وكبت حريات الناس والظلم الكثير وما إلى ذلك.

فلا يمكن تطبيق نظام العقوبات ما لم تطبق قوانين الإسلام الأخرى بحيث توفر الدولة كل مستلزمات الحياة السليمة والصحيحة للناس.

٩

امتلاك القدرة الواقعية

يلزم أن يتمتع النظام ذو الأحزاب المتعددة وذو البنية والهيكلية الاستشارية بمقدار كاف من القدرة الرادعة.

فإن وجود القدرة يرهب الأعداء خاصة الذين يجدون في قيام نظام استشاري خطرا عليهم وتحول دون محاولاتهم لإسقاط النظام الفتي.

كما ان القدرة الكافية توجب استقرار الأمن واطمئنان الأمة فالذي لا يملك القدرة الرادعة لا يستطيع النهوض ولو فرض انه تمكن من النهوض لا يتمكن من البقاء والاستمرار.

ومعنى توفير القدرة أن تكون هناك مقومات أساسية من تنظيم وقوة سياسية وعسكرية واقتصادية وأسلوب اداري متمكن تكفي لبقاء الثورة صامدة وقوية أمام الأعداء والطامعين والحساد والانتهازيين.

لقد كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة حيث كان الناس) يدخلون في دين الله أفواجا))(٣) هو نفس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي عاش في مكة والذي تحدث عنه تعالى بقوله: ((وإذ يمكر بك

١ـ راجع دعائم الاسلام ج٢ ص٤٦٥. وفيه: (ادرءوا الحدود بالشبهات)، ومثله في غوالى اللئالي ج٢ ص٣٤٩ باب الحدود.

٢ـ فمثلاً هناك اكثر من اربعين شرطاً لحد السرقة، راجع كتاب (ممارسة التغيير) ص ٤٤٧ ـ ٤٥١ و موسوعة الفقه ج١٠١ كتاب الدولة الاسلامية ص ١٨١للإمام المؤلف.

٣ـ سورة النصر: ٢.

الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك..))(١) وقوله سبحانه: ((إذ أخرجه الذين كفروا...))(٢).

فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو نفسه في كلا الموقعين من كونه حاملا للوحي وهاديا إلى الصراط المستقيم ونزيها ومقدسا ومعصوما وفي قمة الفضائل والفواضل، ومؤيدا بالتأييد الإلهي ولكن الفارق انما هو في القدرة ففي مكة كانت الدعوة الإسلامية في أوائلها ولا تملك بعد القدرة اللازمة لمواجهة المشركين مباشرة فلقي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك أشد المحن منهم.

أما في المدينة فقد نال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) القدرة اللازمة بحيث انطبق قوله سبحانه: ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم))(٣) وحينئذ صارت له تلك المنزلة الرفيعة الدنيوية(٤).

ثم ان القدرة على قسمين:

١ ـ قدرة المستبدين.

٢ ـ قدرة الاستشاريين(٥).

وبينهما بون شاسع فإن القدرة المطمئنة القابلة للبقاء والتي لا تتحول إلى آلة لتحطيم الأمة وامتصاص ثرواتها هي القدرة الاستشارية.

بعكس القدرة الاستبدادية حيث انها تعيش ملوثة برذائلها وجرائمها وقمعها وإرهابها بأمد محدود وقد رأى الجميع كيف تحطمت قدرة الاتحاد السوفيتي الشيوعي وألمانيا الشرقية وأنور خوجه في ألبانيا وتشاوسيسكو في رومانيا وكيم أيل سونغ ومن أشبههم، حيث قاد الاستبداد تلك البلاد إلى انهيار فظيع حطم بنيتها الأساسية وقضى على ثرواتها.

فاللازم على القائمين بالنهضة الإسلامية أن يحصلوا على القدرة النزيهة من النوع الاستشاري القائم على الحرية والانتخاب الحر والتعددية الحزبية.

أما القدرة الاستبدادية فإنها تعني افتقاد القدرة الواقعية حيث أن القدرة المستندة إلى الاستبداد قدرة موهومة

١ـ سورة الانفال: ٣٠

٢ـ سورة التوبة: ٤٠.

٣ـ سورة الانفال: ٦٠.

٤ـ لقد جعل الله تعالى الحياة بالاسباب والمسببات، فكل شيء يوصل اليه من سببه وطريقه ولا يمكن خرق السنة الالهية اذ تبطل حكمة التكليف والامتحان، والقدرة والقوة من هذا القبيل، فلكي يستطيع الانسان او المجتمع ان يواجه الاعاصير والاعداء لابد ان يكون قد اعد نفسه لذلك ووفر المقومات في نفسه.

٥ـ الحكم الاستشاري هو الحكم المستند الى الشورى، قال تعالى: ((وأمرهم شورى بينهم) (سورة الشورى: ٣٨) فليس للحاكم الحق في ان يستبد برأيه بل لابد ان يستشير بأقرانه والعاملين معه، ويستشير الشعب ايضاً وذلك ضمن الاطار الاسلامي المستند الى الادلة الشرعية، ومن مصاديق الاستشارية: شورى المراجع والتعددية الحزبية والانتخابات الحرة. ولمعرفة التفصيل في ذلك راجع كتب سماحة الإمام المؤلف (دام ظله) مثل كتاب: (الشورى في الاسلام) و (السبيل الى انهاض المسلمين) وموسوعة الفقه ج ١٠٥و١٠٦ كتاب (السياسة) و...

معرضة للسقوط السريع ((إن الله سريع الحساب))(١) فإذا زعم البعض انه طويل الأمد فـ ((انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا))(٢).

١٠

توزيع القدرة

التنافس حالة طبيعية في الإنسان تتعايش معه على طول التاريخ حتى في الجنة وأعمال الخير كما قال سبحانه: ((وفي ذلك فليتنافس المتنافسون))(٣).

وقال تعالى: ((سارعوا إلى مغفرة من ربكم))(٤).

وقال سبحانه: ((فاستبقوا الخيرات))(٥).

أما في الدنيا فالتنافس يؤدي إلى نشاط الإنسان وشحذ همته أكثر فأكثر بحيث يحاول أن يتقدم على الآخرين ولا يتخلف عن منافسيه عبر الإبداع في عمله بشكل أفضل وأشمل وبذلك تتجلى التألقات العلمية والعملية على ساحة المجتمع مما يؤدي إلى تقدمه وتطوره.

ولذا فاللازم على الدولة الإسلامية القائمة أن تهتم لإيجاد حالة التنافس الإيجابي عبر تكوين الأحزاب الحرة ذات الجذور الاجتماعية والمستندة إلى المؤسسات الدستورية حتى توجد الحوافز نحو التقدم وبحيث يؤدي الكل أدوارهم بأفضل ما يتمكنون منه في ميادين العلم والعمل ـ في مختلف الأبعاد ـ ونجد ذلك جليا في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

فقد قسم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمين إلى (مهاجرين) و (أنصار) وأثار التنافس بينهما إذ ما يؤديه الإنسان من عمل جيد هو المقياس في الكفاءة رغم انه ساوى بين الناس في مجالات العقيدة والعبادة والمعاملات والحقوق الإنسانية وفي قبال القانون إذ الأصل في الإسلام المساوات كما قال تعالى: ((إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم))(٦).

وقال سبحانه: ((إنما المؤمنون إخوة))(٧).

وورد: (الا ان الناس من آدم وآدم من تراب)(١).

١ـ سورة آل عمران: ١٩٩.

٢ـ سورة المعارج: ٧.

٣ـ سورة المطففين: ٢٦.

٤ـ سورة آل عمران: ١٣٣.

٥ـ سورة المائدة: ٤٨.

٦ـ سورة الحجرات: ١٣.

٧ـ سورة الحجرات: ١٠.

وكذلك:

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والام حـواء

وانما امهات الناس أوعيـة مستودعات وللاحساب اباء

فإن لم يكن لهم شـــرف يفاخرون به فالطين والمـاء(٢)

ولذلك فربما يقال: أصل الأحزاب بهذا الاسم: (الحزب) كانت في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ ولو بالصيغة البدائية لذلك ـ وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في كتاب السبق والرماية من كتاب الجواهر والمسالك وجامع المقاصد: (أنا في الحزب الذي فيه ابن الأدرع)(٣).

فإذا أرادت أي جماعة أن تشكل حزبا فلها الحرية في ذلك أيضاً فلا تحدد الأحزاب بعدد ولكن يشترط في عملها أن لا يكون خلاف الإسلام باعتبار أن البلاد الإسلامية ذات أكثرية مسلمة.

أما الأحزاب الوطنية فلابأس بها إذ معنى الحزب الوطني انه يريد بناء الوطن الإسلامي في مختلف أبعاد البناء: السياسي والاجتماعي والاقتصادي وغير ذلك.

١١

الحريات

الحرية أصل يعطي للإنسان الحق في أن يختار أي شيء أو يقول أي كلام أو يفعل أي فعل أو... حسب إرادته كما تقر ر ذلك في العقل والشرع.

فعلى الدولة الإسلامية القائمة أن تطلق كافة الحريات للناس في كل الأبعاد ـ ضمن الإطار الإسلامي ـ من حرية العقيدة والرأي والزراعة والاكتساب والتجارة والصناعة والدخول في الوظائف والسفر والإقامة والعمارة وحيازة المباحات ونصب محطات الراديو والتلفزيون وإيجاد المطابع وإنشاء الأحزاب والمنظمات وإنشاء المصانع والمعامل وإصدار الصحف والجرائد والمجلات والانتقال من بلد إلى بلد بنفسه أو بكسبه إلى غير ذلك. وقد ذكرنا تفصيل الحريات ـ في الجملة ـ في كتاب (الفقه: الحريات)(٤).

وبذلك تلغى كل القيود وكافة أنواع الكبت من الهويات الشخصية والجنسية والجواز واجازة الاستيراد والتصدير و...

وبالجملة كل إنسان حر في كل شيء ما عدا المحرمات وهي قليلة جداً إضافة إلى ان المحرمات عند المسلمين لا يؤخذ بها غير المسلمين في إطار قانون (الإلزام) على ما ذكرنا تفصيله في كتاب (الفقه: القواعد

١ـ مكارم الاخلاق ص ٤٣٨ الفصل الثالث.

٢ـ الديوان المنسوب الى أمير المؤمنين (عليه السلام) ص٢١٠ ط قم.

٣ـ غوالى اللئالي ج٣ ص٢٦٦ باب السبق والرماية.

٤ـ راجع ايضاً كتاب (الصياغة الجديدة) للإمام المؤلف.

الفقهية)(١).

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (انه من دان بدين قوم لزمته أحكامهم)(٢).

ولا يخفى ان الناس انما أقبلوا نحو الإسلام أو أقبلوا إلى الدخول في بلاد الإسلام والعيش فيها تحت لواء الإسلام ـ كما هو ظاهر لمن راجع التاريخ ـ لأنهم رأوا في الإسلام وفي بلاد الإسلام هذه الحريات الواسعة حيث لم تتوفر في أية بقعة من بقاع الدنيا تحت أي دين أو قانون أو حكومة كما ان الأمر كذلك بالنسبة إلى الحكومات الحالية والتي تسمى بالعالم الحر رغم انه عالم حر بالنسبة إلى سائر بلاد العالم اليوم لا بالنسبة إلى الحكومة الإسلامية الصحيحة.

وربما يتوهم: ان ذلك يوجب الفوضى؟

والجواب: ان ذلك لم يستلزم الفوضى طيلة التاريخ الإسلامي في مد ة ثلاثة عشر قرنا إلى أن دخلت بلاد الإسلام تحت حكم القوانين الغربية وأوقعت المسلمين فيما لا يحصى من المشاكل والمآسي.. وإني قد رأيت بنفسي كثيرا من الحريات الإسلامية قبل نصف قرن في العراق وقد فقدناها بعد الحرب العالمية الثانية وقد أشرت إلى بعضها في كتاب (بقايا حضارة الإسلام كما رأيت)(٣).

وأيضا فإن ما نراه في بلادنا من فوضى واضطرابات هو نتيجة لتحكم الاستبداد والديكتاتورية فإن الاستبداد مستنقع مملوء بالأوبئة الفاسدة التي تنشر الأمراض بالمجتمع: كالطغيان والظلم والفقر والقمع والسجن والتشرد والحروب وغير ذلك.

١٢

تقوية الأمن

ومن أركان الحكم في هذا العصر هو وجود جهاز أمني لمواجهة شبكات الأمن المعادية والمضادة التي تحاول اختراق الحكومة وإسقاطها أو تحريفها عن مسارها الإسلامي والإنساني.

والجهاز الأمني يجب أن يكون في قبال العدو الخارجي المترصد لضرب الدولة المنتخبة من قبل الجماهير لا أن يستغل لضرب الشعب حيث يستغل المستبدون من الحكام جهاز الأمن لضرب الامة وخنق الكفاءات والتمجيد بالزعيم الأوحد.

ان التجسس في نظر العقل والشرع لا يجوز إلا على المسؤولين في أجهزة الدولة ابتداءً من الشخص الأول في الدولة.. حتى لا ينحرفوا ولا يهملوا مصالح الأمة، وكذلك على الأعداء المحاربين الذين يعملون لإخلال

١ـ راجع موسوعة الفقه كتاب القواعد الفقهية ص٦٩ـ٨٢.

٢ـ من لا يحضره الفقيه ج٣ ص٤٠٧ ب٢ ح٤٤٢١، عيون اخبار الرضا (عليه السلام) ج١ ص٣١٠ ح٧٤، معاني الأخبار ص٢٦٣ ح١ باب ما روي إياكم والمطلقات ثلاثاً في مجلس واحد.

٣ـ راجع ايضاً كتاب (حياتنا قبل نصف قرن) للإمام المؤلف.

الاستقرار والأمن في الأمة كـ (شبكات الأمن العالمية في الحال الحاضر).

ووجود النظام الأمني الصحيح الذي يخدم مصالح الأمة لا يكون إلا في إطار (الاستشارية (الديمقراطية والمستندة إلى التعددية عبر الأحزاب الحرة والانتخابات الصحيحة والمؤسسات الدستورية وعند ذاك يكون جهاز الأمن مستند بقاء الحكم وقوته وتقد مه وضمان للحفاظ على مصالح الأمة وثرواتها.

ومن الضروري رقابة الأمة للأجهزة ومحاسبتها فيما عبر عنه في الإسلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لايكون لجهاز الأمن مطلق التصرف فيما يحلو له ويشاء وكذلك يجب أن يكون الأمن قويا كفوءاً مناسبا لمثل هذا العصر والتقدم التكنولوجي والحضاري الكبير.

ولكي يصبح جهاز الأمن حافظا لمصالح الأمة بالإضافة إلى الرقابة والكفاءة لابد من تقوية الإيمان بالله واليوم الآخر وخوفه سبحانه في السر والعلن كما هو المطلوب في كل جهاز من أجهزة الحكم الإسلامي وعندئذ يؤدي الأمن وظيفته بكل أمانة ودقة مما يوجب تقوية الحكم واطراده وبذلك تكون بلاد الإسلام مثالا للحكم الصحيح والإتقان وفي الحديث: (رحم الله امرءا عمل عملا فأتقنه)(١). وقال (عليه السلام): (لكن الله يحب عبدا إذا عمل عملا أحكمه)(٢).

أما ما يوجد اليوم في الدول الاستبدادية من التجسس على الشعب ومصادرة حرياته وإيذاءه فهو من أشد المحرمات قال تعالى: ((ولا تجسسوا))(٣).

١٣

الاهتمام بالخبراء

قال يوسف (عليه السلام): ((إني حفيظ عليم))(٤).

ان الأعمال التقنية والفنية تحتاج إلى الأمانة كما قال) حفيظ (والخبروية كما قال (عليه السلام): ((عليم (.

فاللازم على الدولة الإسلامية الفتية الاهتمام بالخبراء في كل جهات الدولة.

أما ملاحظة الولاء الثوري في العاملين للدولة فقط فإنها تزيد الأمر تعقيدا واعضالاً إذ معنى ذلك أن تقع إدارة الدولة بيد غير الأخصائيين مما يتبعه أخطاء كثيرة وكبيرة فإن وجود الثوريين في الأجهزة الحكومية كي يحملوا لواء الثورة لابد أن يتوازن مع وجود الأخصائيين كي يتمكنوا من حفظ البلاد وتقديمها إلى الأمام وكل واحد بدون الآخر يكون حال البلاد معه حال الطائر بجناح واحد وما رأيناه في بلاد الثوريين في أعقاب الانقلابات العسكرية وغيرها من التحطم لم يكن إلا من حصيلة ذلك ولذا لم نجد ثورة إلا وتمنى أهل البلاد أن

١ـ راجع الكافي: ج٣ ص٢٦٢ ح٤٥ وفيه: (اذا عمل احدكم عملاً فليتقن).

٢ـ بحار الانوار ج٦ ص٢٢٠ ب٨ ح١٤. الامالي للشيخ الصدوق ص٣٨٤ المجلس ٦١ ح٢.

٣ـ سورة الحجرات: ١٢.

٤ـ سورة يوسف: ٥٥.

تعود الحكومة السابقة(١).

كما قال الشاعر:

يا ليت ظلم بني مروان عاد لنا وليت عدل بني العباس لم يكن

ثم ان الكثير من الثوريين يزيدون الأمر اعضالاً بالمصادرات والسجون والإعدامات والدعايات الفارغة لكي يثبتوا عروشهم ويرغموا الناس على تقبل انهم الأفضل فيدخلون في مواجهة مع الناس مما يحرك الناس لإسقاطهم(٢).

ثم من الممكن تدارك مشكلة (الأمانة والخبروية) بضم أحدهما إلى الآخر وهذا وإن كان في نفسه مشكلا إلا ان اشكال انفراد أحدهما بإدارة الدفة أشكل وله العاقبة السيئة وقد ذكر الفقهاء: لزوم ضم الحاكم إلى الولي والوصي ونحوهما في مورد عدم الكفاءة الشرعية أو العقلية فيهما(٣).

ولا يخفى ان ذلك غير ممكن مع الاستبداد وتمركز القدرة لأن القدرة غير المراقبة تفسد وتفسد.

١٤

مع الأقليات والأحزاب

ان الدولة الإسلامية تتعايش مع الأقليات سلمياً، فالأقليات لها أحكامها الخاصة بها، سواء كانت أديانا كالمجوس والنصارى أو غير أديان كالبوذية والبرهمية وما إلى ذلك.

كما صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك بالنسبة إلى المشركين فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يجبر أحداً على الإسلام في مكة مع ان كثيرا منهم كانوا مشركين بعد فتح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لها.

والاقليات في القضاء مخيرون بين مراجعتنا ومراجعة قضاتهم فإن راجعونا حكمنا لهم وعليهم(٤) بحكمهم أو بحكم أنفسنا(٥).

١ـ وترى ذلك جلياً في الثورة الفرنسية التي حملت مبادئ المساواة والحرية، ولكن الثوريين ارتكبوا المجازر ونشروا المقاصل واخذوا يقتلون الناس مما نقر العالم منهم وعجل بسقوط الثورة ورجوع الملكية.

٢ـ ان الثوريين ان اقتنعوا ببعض الحكم مع السلامة، كان افضل لهم من السقوط المحتم، حيث لم يبق لهم حتى شيء منه ـ كما هو المشاهد في الثورات ـ نعم انهم يريدون اضفاء عنوان (الزعيم الاوحد) عليهم، لكن الناس لايرضون بهم حتى (واحد من الزعماء).

٣ـ تطرق الفقهاء الى هذه المسألة الشرعية في كتاب البيع مبحث ولاية الاب والجد وكذلك في كتاب الوصية.

٤ـ حسب اختلاف الموارد.

٥ـ راجع موسوعة الفقه ج٨٤ و٨٥ كتاب (القضاء)، وكتاب الفقه (القانون)، وكتاب (القواعد الفقهية) للإمام المؤلف (دام ظله).

أما في الآداب العامة: كالمرور ونحوه فاللازم عليهم اتباع قوانين البلاد ـ كما هو كذلك في كل بلد من بلاد العالم ـ.

وتأخذ الدولة منهم الجزية في قبال حماية الحاكم الإسلامي لهم وحفظ أموالهم وأنفسهم وأهليهم كما يؤخذ من المسلمين الخمس والزكاة. أما الخراج والمقاسمة فلا فرق فيهما بين المسلم وغيره.

ومن آداب البلاد العامة التي عليهم مراعاتها: عدم إظهار المنكر مثل التظاهر بشرب الخمر وفتح دور البغاء وما إلى ذلك(١) وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب (الفقه: الدولة الإسلامية)(٢).

أما الأحزاب غير الإسلامية فإن كانت أحزابا وطنية تريد بناء الوطن فهي مجازة وكذلك بالنسبة إلى حزب الأقليات في إطارهم الخاص نعم لا يحق لحزب أن يدعو إلى ما يضاد الإسلام.

فيحق لكل حزب أن يعمل في الإطار الإسلامي من أي مذهب أو قومية كان ويباح لكل قومية أن تمارس لغتها الخاصة في المدارس والجرائد وسائر وسائل الإعلام، نعم اللغة العربية هي اللغة الرسمية للمسلمين لأنها لغة الكتاب والسنة، ويحق لكل أصحاب لغة استيراد الإذاعة والتلفزيون والمطبعة ونشر الجرائد والمجلات بلغتهم الخاصة.

١٥

العلاقات الدولية

تنقسم سائر الدول بالنسبة إلى الدولة الإسلامية التي تقوم بإذن الله تعالى إلى قسمين:

الأول: الدول الإسلامية.

الثاني: الدول غير الإسلامية.

فبالنسبة إلى الدول الإسلامية يلزم العمل معها حسب القانون الإسلامي حيث الأمة الواحدة والاخوة الإسلامية والحرية الإسلامية.

قال سبحانه: ((وإن هذه أمتكم أمة واحدة))(٣).

وقال تعالى: ((إنما المؤمنون إخوة))(٤)

وقال عز من قائل: ((يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم))(٥).

١ـ اما شرب الخمر في بيوتهم وفعل الحرام كذلك فلا يمنع منه لقاعدة (الإلزام)، راجع موسوعة الفقه كتاب (القواعد الفقهية).

٢ـ راجع موسوعة الفقه ج١٠١و١٠٢ كتاب (الدولة الإسلامية).

٣ـ سورة المؤمنون: ٥٢.

٤ـ سورة الحجرات: ١٠.

٥ـ سورة الاعراف: ١٥٧.

فاللازم أن يُعتبر المسلم من أية دولة بمنزلة المسلم المواطن في الدولة الإسلامية إلا إذا كان هناك عنوان ثانوي قطعي(١) مثل قانون (لا ضرر)(٢) وقانون (الأهم والمهم) وقانون (من سبق)(٣) حيث ان السابق مقدم على غيره. والعنوان الثانوي يكون على نحو الاستثناء لا الأصل وبشكل موقت لا دائم.

إني أذكر قبل نصف قرن حيث لم تكن هناك جنسية ولا هوية ولا ما أشبه كيف كان المسلمون يأتون من بلاد الإسلام أو غير الإسلام إلى العراق فكان حالهم حال المسلمين في العراق في كل شيء من الزواج والكسب والاخوة وغير ذلك(٤).. وهذه الحالة يجب أن ترجع كما أمر الله وكما قرر في الكتاب الحكيم.

أما بالنسبة إلى غير المسلم الذي يأتي إلى بلد الإسلام فاللازم إجراء قانون (الإلزام) و (تبادل المصالح) و) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين...))(٥) بالإضافة إلى القوانين المتقدمة الاستثنائية مثل: قانون (لا ضرر) وقانون (الأهم) بالنسبة إليهم.

ثم ان بعض الدول الإسلامية وبعض الدول غير الإسلامية قد تحارب الدولة الإسلامية الفتية إما لاختلاف المصالح أو لاختلاف الآراء أو للعداوات التقليدية أو ما أشبه ذلك كتخطيط الأعداء ونحوه لكن اللازم في كل ذلك أن تحل المشكلة بالتي هي أحسن ـ في الكم والكيف ـ كما نرى ذلك في الفارق بين الدولة العاقلة والدولة غير العاقلة.. فإن الغرور والكبرياء والأنانية كما تحطم الأفراد تحطم الدول بل تحطيمها للدول أسرع وأظهر على الملاك الذي يظهر من القول المشهور (إذا فسد العالم فسد العالم).

إذن: فاللازم أن يبد ل العداء إلى التعاون ـ ولو بقدر ـ.

ولو فرض عدم الإمكان، ولعله فرض نادر، فاللازم الوقوف حيادياً لتفادي المشكلة(٦).

١ـ أوضح الإمام المؤلف في كتبه الاخرى ان العناوين الثانوية يحددها فقط (منتخبوا الامة في مجلس الشورى مع شورى الفقهاء المراجع) راجع كتاب (مسائل حديثة) ص٤٢ المسألة ١٠٩ تحت عنوان (الأحكام العامة والعناوين الثانوية.

٢ـ الكافي: ج٥ ص٢٨٠ ح٤. معاني الاخبار ص٢٨١. دعائم الاسلام ج٢ ص٤٩٩ ح١٧٨١.

٣ـ تهذيب الاحكام ج٦ ص١١٠ ب٢٢ ح١١. غوالي اللئالي ج٣ ص٤٨٠ باب احياء الموات ح٤.

٤ـ راجع كتاب (حياتنا قبل نصف قرن) للإمام المؤلف (دام ظله)

٥ـ سورة الممتحنة: ٨.

٦ـ فلا يمكن للدولة الاسلامية ان تدخل في حروب ومعارك واختلافات مع دول العالم نتيجة لاختلاف الافكار والمصالح، اذ يعني ذلك ان تستنزف قواها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتنصرف عن بناء الداخل مما يضعف هذه الدولة الاسلامية داخلياً وخارجياً وتبتعد عن هدفها وتأدية رسالتها.

١٦

حسن الجوار

من أهم مقومات الاستقرار للدولة الإسلامية الفتية: (حسن الجوار) بأن تحفظ حق الجوار بالأحسن، لا الحسن فقط، فقد قال سبحانه: ((وأمر قومك يأخذوا بأحسنها))(١).

وقد قال الإمام الكاظم (عليه السلام): (ليس حسن الجوار كف الأذى ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى)(٢).

وإذا كان الجار سيئا عقيدة أو عملا فاللازم إصلاحه ودعوته بالتي هي أحسن كما قال تعالى: ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن))(٣).

فإذا كان حسن الجوار مهما بالنسبة إلى البيوت والدور فهو أهم بالنسبة إلى الدول والحكومات.

وعلى الدولة الإسلامية أن تحافظ على التعامل بكل حكمة وتعقل مع كل الدول سواء سميت مجاورة لتجاور أراضيهم أو لم تسم مجاورة كسائر دول العالم، وسواء كانت مسلمة أو غير مسلمة.

وإذا قام إعلام الدول المعادية بالاستفزاز ضد الدولة الإسلامية الفتية فاللازم على الدولة الإسلامية أن تضبط الأعصاب بكل قوة وترد الإساءة بالإحسان وتجيب على ذلك) بالحكمة والموعظة الحسنة))(٤) لا بالسباب والتهريج فإن ذلك يخفف الإساءة ـ على أقل تقدير ـ وقد قال الإمام السجاد (عليه السلام): (اللهم صل على محمد وآله وسددني لأن أعارض من غشني بالنصح وأجزي من هجرني بالبر وأثيب من حرمني بالبذل وأكافي من قطعني بالصلة وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر وأن أشكر الحسنة وأغضي عن السيئة)(٥).

والغريب في الأمر ان بعض الناس لا يتحملون سماع شتيمة لكنهم عند ما يشتمون الآخرين فإنهم يهيئون أنفسهم لسماع ما لا يحصى من الشتائم(٦).

ولذا قال القرآن الحكيم: ((وإن تعفوا أقرب للتقوى))(٧).

ويحكى عن عيسى المسيح (عليه السلام) انه قال: (وان لطم أحد خد ك الأيمن فأعطه خد ك الأيسر)(٨).

وقد أراد بذلك العز والراحة للمصفوع قبل أن يريد ذلك للضارب فإن تحمل صفعة واحدة أفضل من تحمل

١ـ سورة الاعراف: ١٤٥.

٢ـ تحف العقول: ص٤٣٢. مجموعة ورام ج٢ ص٢٥.

٣ـ سورة النحل: ١٢٥.

٤ـ سورة النحل: ١٢٥.

٥ـ الصحيفة السجادية: دعاء مكارم الاخلاق.

٦ـ كالذي لا يستعد ان يصفع صفعة واحدة، لكنه بردها او بسبّ الصافع يتلقّى صفعات عديدة.

٧ـ سورة البقرة: ٢٣٧.

٨ـ الامالي للشيخ الصدوق ص٥١٩ المجلس ٧٨ ح١، تحف العقول: ص٥٣٢ في مناجاة الله لعيسى (عليه السلام). وفي تحف العقول ص ٥٤٧ عن عيسى (عليه السلام): (ومن لُطم خده منكم فليمكن من خده الآخر).

صفعات قد تتوالى عند ما تتصاعد المعركة، لكن ذلك يحتاج إلى ضبط الأعصاب وإعمال العقل والروية(١). ومن الطبيعي أن يلاحظ في ذلك مقتضيات باب التزاحم(٢) حسب تشخيص شورى المراجع.

١٧

النهوض بالاقتصاد

من أهم ما يجب ملاحظته على الدولة الإسلامية الفتية (الاقتصاد) فمن لا معاش له لا معاد له كما ورد في الحديث الشريف، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الفقر سواد الوجه في الدارين)(٣).

والاستقلال الاقتصادي يوجب الاستقلال السياسي كما ان التضخم وغلاء الأسعار وقلة الموارد توجب تنفر الناس عن الحكومة وتسبب آخر المطاف سقوطها.

وعليه فاللازم: (البرمجة الشاملة والدقيقة) لضمان سلامة الاقتصاد وتطويره، وعلى الحكومة أن تكوّن ـ وتسمح بتكوين ـ مؤسسات اقتصادية ولجان من أهل الخبرة لكل نوع من أنواع الاقتصاد كالزراعي والصناعي والتجاري الخارجي والداخلي والمصرفي وما إلى ذلك بحيث تكون قوانينها حيوية مطابقة للإسلام وللعصر.

كل ذلك في إطار (حرية رؤوس الأموال) بمعنى الكلمة ـ في غير المحرم ـ) فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون))(٤) وكون كل الأمور بيد الناس.. والدولة مهمتها الإشراف فقط، حتى المطارات وسكك الحديد والمعامل والمصانع الكبار والصغار والمستشفيات وغيرها.

وإعطاء الحرية لجميع الناس في الاستفادة من الأرض (الأرض لله ولمن عمرها)(٥) والماء والغابات وحيازة المباحات: كالأسماك وسائر أقسام الحيوانات، وكذا أنواع المعادن حسب قانون (من سبق)(٦).

وكما قال تعالى: ((لكم))(٧) وكل ذلك لا يؤطر إلا بإطار الأحكام الأولية الإسلامية والأحكام الثانوية مثل قانون (لا ضرر) وقانون (الأهم والمهم) بموازينها الفقهية لدى المراجع وحسب التشاور والتعاون بين (شورى

١ـ كمثال على ذلك: العراق الذي يحكمه صدام حيث انتهك هذا النظام الارهابي كل الاعراف الدولية ولم يحفظ حق الجوار فبعد ما أنال الشعب العراقي الحديد والنار اخذ يوجه نيران الشر نحو الدول المجاورة، وبذلك فانه ادخل الشعب العراقي مع الدول المجاورة في حروب دامية حطمت العراق اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، كما اضر بالدول المجاورة كثيراً نتيجة لعدوانه، وهكذا فان الذي لا يحفظ حق الجوار يتحطّم قبل ان يحطم غيره.

٢ـ مبحث اصولي مذكور في علم الأصول.

٣ـ غوالي اللئالي ج١ ص٤٠.

٤ـ سورة البقرة: ٢٧٩.

٥ـ الاستبصار: ج ٣ ص ١٠٨ ب٧٢ ح٣.

٦ـ الكافي: ج٤ ص٥٤٧ ح٣٣، غوالي اللئالي ج٣ ص٤٨٠ باب احياء الموات ح٤.

٧ـ سورة البقرة: ٢٩. قال تعالى: ((هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً)).

الفقهاء) ومجلس منتخبي الأمة ولجان الخبراء.

أما ما يشاهد اليوم من منع حيازة المباحات ومنع الناس عن حرياتهم الاقتصادية فهو محرم شرعا، ومن أكبر الأخطار على استقرار وازدهار وتقد م الدولة الإسلامية.

ومن الأعمدة المهمة أيضا لتقدم الاقتصاد: (الاكتفاء الذاتي) و (قلة الموظفين) ـ بأقصى حد ممكن ـ و (الأحزاب الحرة) و (تصنيع البلاد) و (التثقيف العام)(١).

وبذلك ينفى الفقر والبطالة كما يحصل كل الناس على حاجاتهم الأولية والثانوية.

ومن أهم الأمور في سلامة الاقتصاد هو جعل التجارة والصناعة حرة بما للكلمة من معنى وذلك في غير المحرمات الشريعة وهي قليلة جداً.

وحيث ان الاقتصاد مهم شرعا وعقلا ويؤثر في حسن سمعة الدولة مما يفتح آفاقا عالمية واسعة.. فإذا تحقق للدولة الفتية اقتصاد سليم ورأت سائر الدول ذلك في بلاد الإسلام اقتدت به مما يسبب الخير لدنيا الناس وآخرتهم.

وقد اتخذ غير المسلمين مناهج المسلمين في العلم والحرية والصناعة وغيرها مع انهم كانوا يعيشون في القرون الوسطى المظلمة عندما كانت للمسلمين تلك النهضة الحضارية المتدفقة بشلالات النور فتقدموا هذا التقدم الهائل بينما ترك المسلمون كل ذلك فتأخروا هذا التأخر الهائل.

١٨

الاكتفاء الذاتي

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (احتج إلى من شئت تكن أسيره)(٢)، وهذا من البديهيات فإن المحتاج إلى الغير يصبح أسيره وتابعا له، يقوده كيفما شاء وإلا قطع المعونة عنه.

والغرب لم يسيطر على البلاد بسبب السلاح فقط بل بسبب إعطائه المعونات المالية لدول العالم الثالث وتزويدهم بالخبراء وغير ذلك.

ولذا اهتم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مذ دخل المدينة المنورة بتوفير الاكتفاء الذاتي للمسلمين عن اليهود لكي لا يخضعوا لسيادتهم.

وفي قصة مشهورة من التاريخ: أراد الخليفة إعطاء المال لأبي ذر (رحمه الله) فأبى من أخذه.

فقال له مبعوث الخليفة ـ وكان من عبيد الخليفة وقد وعده الخليفة انه إذا استطاع إقناع أبي ذر (رحمه الله) بأخذ المال اعتقه ـ: انك إذا أخذته كان في ذلك عتقي.

١ـ راجع (السبيل الى انهاض المسلمين) للإمام المؤلف.

٢ـ الارشاد ج١ ص٣٠٣، الخصال ص٤٠٢.

فقال له أبوذر (رحمه الله): ولكن في ذلك رقي(١).

وعلى هذا فاللازم على الحكومة الإسلامية الناهضة جديدا: الاهتمام بالاكتفاء الذاتي في مختلف جوانب الحياة، من المأكل والمشرب والمسكن،والصناعة، والزراعة، وغيرها.

ويمكن القيام بذلك عبر تشكيل لجنة عليا من الخبراء والمتخصصين واتخاذ مجموعة خطوات:

أولا: الاستفادة من الأراضي الزراعية وتنمية الثروات الحيوانية مثل إيجاد حقول الدواجن، وأحواض الأسماك، والتشجيع على الصناعات اليدوية كصنع السجاد، وغير ذلك.

ثانيا: من الضروري أن تهتم الدولة الإسلامية الفتية لتصنيع البلاد عبر ايجاد المصانع التي تقوم بتشغيل عدد كبير من الناس مما يوفر الإمكانية اللازمة للاستقلال والاكتفاء الذاتي(٢).

والمراد بالتصنيع الأعم من الصناعات المحلية الصغيرة والصناعات الكبرى.

وقد كان في أواخر الحكم الملكي ـ الذي توفرت فيه شيء من التعددية والأحزاب الحرة وشبه الاستقرار في العراق ـ يصنع في مدينة كربلاء المقدسة (أربعمائة) نوع من الصناعة.

وتطوير التصنيع من أهم ما يوجب تقديم الأمة إلى الأمام في كل الميادين، إذ الصناعة هي القمة التي تتربع على سائر الميادين الثقافية والخبروية والاجتماعية وغيرها.

إذ ان التصنيع يعطي حاجات البلاد ويوجب الاكتفاء الذاتي ويقلل من نسبة البطالة إلى أقل حد ممكن ويوجب رفع العوز والفقر ويقف حائلا دون التضخم وكل ذلك بدوره يوجب تقليل الفساد الأخلاقي، والسرقة، والمرض، واستعمال المخدرات، ونحوها.

١ـ راجع مجموعة ورام ج٢ ص١٨ ورجال الكشي ج١ ص١١٨: (عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أرسل عثمان الى أبي ذر موليين له ومعهما مائتا دينار فقال لهما: انطلقا بها الى أبي ذر فقولا له: ان عثمان يقرؤك السلام وهو يقول: لك هذه مائتا دينار فاستعن بها على ما نابك، فقال أبوذر: هل اعطى احد من المسلمين مثل ما أعطاني؟ قالا: لا، قال: فانما انا رجل من المسلمين يسعني ما يسع المسلمين. قالا له: انه يقول هذا من صلب مالي وبالله الذي لا اله الا هو ما خالطها حرام، ولا بعثت بها اليك الا من حلال، فقال: لا حاجة لي فيها، وقد أصبحت يومي هذا وانا من اغنى الناس، فقالا له: عافاك الله واصلحك ما نرى في بيتك قليلاً ولا كثيراً مما يستمتع به، فقال: بلى تحت هذه الالحاف التي ترون رغيفاً شعيرا قد أتى عليها أيام فما أصنع بهذه الدنانير، لا والله حتى يعلم الله اني لا أقدر على قليل ولا كثير، ولقد أصبحت غنياً بولاية علي بن ابي طالب (عليه السلام) وعترته الهادين المهديين الراضيين المرضيين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، وكذلك سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: فانه لقبيح بالشيخ ان يكون كذاباً، فرُدّاها عليه وأعلماه انه لا حاجة لي فيها ولا فيما عنده حتى ألقى الله ربي فيكون هو الحاكم فيما بيني وبينه.

٢ـ ويمكن تأسيس المصانع عبر السماح للناس بذلك ورفع القيود والحدود المكبلة لهم، ولو لم يمكن ذلك الا بالاستيراد فيلزم ان يبرمج الامر بحيث لا يضر البلاد، ولا يسبب سيطرة الأجانب (عبر ايجاد حالة التوازن بين الدول المستوردة منها وغير ذلك) ففي عام واحد استوردت احدى البلاد ونفوسها اقل من عشرين مليون نسمة، ثلاثة وثلاثين الف مصنع، مع العلم انه كان من الممكن ـ بشرط اسقاط الروتين ـ التقدم الاكثر.

ولا يخفى ان تقدم التصنيع وتطويره لا يكون إلا مع الحرية والتعددية وقلة الموظفين وانعدام الروتين ووجود الاستثمارات وتشجيعها على ذلك، وكذلك تشجيع الناس على إيجاد صناديق الإقراض، والبنوك المضاربية التي تساهم في تطوير الصناعة.

وقد ذكرنا سابقا ان الحرية لا يمكن أن توجد إلا بعد أن تكون مستندة إلى الأحزاب الحرة والمؤسسات الدستورية.

فإذا أهتم بهذا الأمر وبدأت الدولة بإنشاء هذه المصانع تدريجيا عبر إنشاء المصانع الصغيرة ومن ثم وبعد فترة من الزمن تبدأ بالصناعات الثقيلة والكبيرة التي يتم إنشائها حسب الإمكانات والظروف وبذلك لا تمر خمسة أعوام إلا والبلاد مشرفة على الاكتفاء الذاتي في الحقلين الصناعي والزراعي وما يتبع ذلك من سائر الاكتفاءات(١).

ومن الملاحظ أن بعض دول العالم الثالث تركز معظم مصروفاتها على الاستهلاك والاعتماد كليا على ما تستورده من الخارج لتغطية احتياجاتها الأساسية والكمالية ولذلك فإنها تصبح تابعة وأسيرة للدول التي تعتمد عليها خاصة إذا كانت تستقرض منها ولو أنها صرفت هذه على تقوية بنيتها الاقتصادية لنالت اكتفاءها.

١٩

مكافحة البطالة

من الأسباب التي تؤدي إلى انتشار الأمراض الاجتماعية التي تقود المجتمع نحو التحطم والانحلال، هي البطالة التي تسبب أضرارا كثيرة للمجتمع.

فالبطالة تجر العاطلين عن العمل نحو الانحلال الخلقي والسرقة والجريمة والمرض والانتحار والجهل والفوضى وغيرها.. إذ الذي لا عمل له يبيع نفسه كي يحصل على المال ويسرق لأجل ذلك ويقدم على سائر أنواع الإجرام وحتى الكفر، فقد ورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (كاد الفقر أن يكون كفرا)(٢).

وقال (عليه السلام): (الفقر سواد الوجه في الدارين)(٣).

وقال أبوذر (رحمه الله): (عجبت للفقراء كيف لا يخرجون إلى الأغنياء بسيوفهم).

وقد تجلى أحد مصاديق ما تعجب منه (رحمه الله) في زماننا حيث ان الشيوعية ـ وهي بؤرة الفقر والفساد ـ ظهرت إلى الوجود فلم يتحمل الشعب الكادح ذل الأسر والفقر والكبت أكثر من حقبة قصيرة بالنسبة إلى عمر الدول الكبرى والحضارات فكان أن خرج من الدائرة المغلقة وأطاح بالحكومة الشيوعية التي جمعت بيدها

١ـ راجع حول هذا المبحث كتاب: (السبيل الى انهاض المسلمين) و (شروط الانتصار) وموسوعة الفقه: ج ١٠٧ـ١٠٨ كتاب (الاقتصاد) وغيرها.

٢ـ الامالي للشيخ الصدوق ص ٢٩٥ المجلس ٤٩، الخصال ص١١.

٣ـ غوالي اللئالي ج١ ص٤٠ الفصل الرابع.

رؤوس الأموال الطائلة والأسلحة الهائلة.

وقد يتعقد الفقير العاطل عن العمل نفسيا مما يسبب المرض لأن كلا من البدن والنفس يؤثر في الآخر.

بالإضافة إلى انه كثيرا ما يسبب المرض مباشرة كفقدان وسائل الوقاية والعلاج من المرض وقرحة المعدة والسكتة القلبية وفقر الدم وسائر ما يترتب على الضغط العصبي ـ الناجم عن الفقر والبطالة و... ـ والجوع وما إلى ذلك ولذا نقرأ في الأدعية: (اللهم أغن كل فقير)(١).

كما ان الفقير لا يملك المال لأجل الدراسة، لذلك يبقى في حالة الجهل مما يجعله ينتقل نحو اثارة الفوضى،ثم الثورات والحروب.

وهذا هو الغالب وإن كانت البطالة أحيانا تكون مع الغنى أيضا ولكن الكلام في الغالب الغالب.

ولذا فاللازم على الدولة الإسلامية الفتية أن تضع الحلول الناجعة لإزالة البطالة: بإعطاء الحريات وإباحة تملك وإعمار الأرض وسائر ما خلق الله سبحانه لنفع البشر ـ مما ليس ملكا لأحد ـ وقد ورد: (من سبق)(٢) في إطار) لكم))(٣) و...

وأيضا: ايجاد فرص العمل عبر تشجيع الأغنياء لاستثمار أموالهم في القطاع المنتج لتشغيل هؤلاء العاطلين.. إلى غير ذلك.

ولو بقى بعض الناس ـ بعد كل ذلك ـ بلا عمل فاللازم توفير حياة كريمة متوسطة لهم إلى حين يجدون العمل المناسب وذلك عبر برنامج (بيت المال) وتحريض أهل الخير بالمساعدة والمساهمة في رفع العوز، ولذا قال سبحانه: ((ولا يحض على طعام المسكين))(٤) وجعله من أسباب دخول النار.

٢٠

الموظفون والإصلاح الإداري

يمكن القول: بأن التضخم في جهاز الموظفين في الدولة هو أسوء من التضخم في الاقتصاد، بل قد يكون هو من أسبابه لأن التضخم في الجهاز الوظيفي يجعل المنتجين مستهلكين ويؤدي إلى سيطرة البيروقراطية التي تحول دون حريات الناس وحينئذ تتجه البلاد نحو الفقر والعوز بعد أن يستملك الجهاز الحاكم الأموال ويمنع الناس من حرية العمل والإنتاج.

ان كل موظف بعد تجاوز القدر المحتاج إليه ليس إلا كلاً على الناس وحائلا دون حرياتهم.

ان دور الجهاز الوظيفي العامل في الدولة هو ضمان الأمن للناس ورفاههم والسهر على مصالحهم، وهذا

١ـ في ادعية شهر رمضان: بحار الانوار ج٩٥ ص١٢٠ ب٦ ح٣.

٢ـ غوالي اللئالي: ج٣ ص٤٨٠ ح٤ وفيه: (من سبق الى ما لا يسبقه اليه مسلم فهو احق به).

٣ـ سورة البقرة: ٢٩. ((هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً)).

٤ـ سورة الحاقة: ٣٤.

القدر من الموظفين الذي لا يكون كلاً ولا حائلا دون حريات الناس هو الذي يكفي لتمشية أمور الدولة وخدمة الناس باعتبار ان الجهاز الوظيفي هو لخدمة الناس فحال الموظفين حال المعلم والسائق والطيار ومن أشبههم من الذين يحتاجهم المجتمع.

أما الوظيفة بما هي وظيفة لا تخدم الشعب ولا تحافظ على مصالحه بل تتحول إلى مهنة ومبعث رزق كما هو الحال في كل بلاد الدكتاتوريين فهي الطامة الكبرى إذ يتحول الجهاز الوظيفي إلى بيروقراطية تضع القوانين لتعرقل أعمال الناس وتقضي على حرياتهم.

وفي هذا الحال يتحول الشعب إلى خاضع ومطيع للموظفين بدلا من العكس.

ان التضخم في الجهاز الإداري ملموس بشكل واضح في البلاد الديمقراطية أيضا نظراً لابتعادها عن مناهج الأنبياء (عليهم السلام) وسنها قوانين كثيرة لا طائل تحتها بل هي ضارة بالمجتمع من جهات عديدة(١) أما بلاد الدكتاتوريين فالتضخم أكثر بكثير كما هو واضح.

فاللازم على الدولة الإسلامية التي تقوم في العراق وكذلك في غيرها أن تشكل لجانا لإلغاء فائض الموظفين وتحويلهم نحو القطاع المنتج.

وفي تصوري انه لو قامت الحكومة بذلك بكل جد وإخلاص لم يبق من الموظفين الحاليين إلا أقل من العُشر بقدر ما تحتاج إليه الدولة وقد فصلنا الكلام حول ذلك في بعض التأليفات المرتبطة بجوانب من الحكم في الإسلام(٢).

أما الموظفون الذين يفصلون عن الحكم ـ باعتبارهم فائضا يقوم على قاعدة الاستهلاك وعلى قاعدة كبت الحريات ـ فلابد من نقلهم إلى قطاع الإنتاج فتساعدهم الحكومة الإسلامية حتى يصبحوا منتجين في الاقتصاد أو في العمل وحتى لا يتحولوا نحو الفقر والبطالة وذلك يتم عبر دراسات مستفيضة يقوم بها خبراء يوازنون الأمور بموازينهم الصحيحة المطابقة للعقل والشرع.

٢١

البساطة

وتوفير الحاجات الأساسية

ان تطبيق منهج البساطة في مختلف شؤون الحياة يوجب هناءاً وراحة فكرية وجسدية، على عكس الحياة المعقدة التي لم تعط للإنسان إلا المرض والشقاء، وإن كان في التعقيد والزخرفة نوع من الجمال المادي

١ـ كقوانين الجنسية والجوازات والعمران و.. راجع للتفصيل كتاب (الصياغة الجديدة) و (الفقه: الحريات) للإمام المؤلف.

٢ـ راجع كتاب (الحكومة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام)) و (حكومة الرسول (ص) والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)) و (هكذا.. حكم الإسلام) و (الحكم في الإسلام) وغيرها.

والكبرياء والغرور النفسي.

ولذلك حرص الإسلام كل الحرص على البساطة في كل الشؤون: الفردية والاجتماعية.. الشعبية والحكومية.

فمثلا: يجلس القاضي في المسجد ويتخذه مقرا لقضاوته على مرأى من الناس ومسمع، فهم ينظرون إلى تفاصيل أحكامه وأخذه وعطائه بلا حجاب ولاجلاوزة ولاابهة ولا روتين ولا تأخير في الحكم ولاتلكؤ في الإجراء ولا أجرة ولا رسوم مما يوجب ذلك الاطمئنان الكامل بصحة قضائه واطمئنان الناس بأنه لا يمكن أن يأكل حقوقهم أو يتخذ من الامتياز الطبقي ونحوه سببا لانحراف قضائه.

وهكذا الأمر في بقية شؤون الحياة: كالولادة والزواج والموت والضيافة والسفر والبيت والدكان وألف شيء وشيء.. ولذا قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل نساء أمتي أقلهن مهرا)(١)، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (بورك لقوم جل آنيتهم الخزف)(٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يسروا ولا تعسروا)(٣).

وقال القرآن الحكيم قبل ذلك: ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر))(٤).

إلى مئات الآيات والروايات والتطبيقات في السيرة النبوية العطرة وكذلك سيرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)(٥).

ولذا فاللازم على الحكومة الإسلامية المرتقبة في العراق بإذن الله تعالى أن تجعل أجهزتها ـ إلى أقصى حد ممكن ـ أجهزة بسيطة وأن تربي الناس على ذلك.

فلو كان سلوك الحاكم سلوكا بسيطا تعلم الشعب منه ذلك حيث ان (الناس على دين ملوكهم)(٦).

هذا بالإضافة إلى أن البساطة توجب التقليل من الجهل والمرض والفقر والمشاكل إذ التعقيد هو الذي ينقل حياة الإنسان إلى نظام غير طبيعي مما يخل بتوازنه وتكيفته الحيوي والصحي والاجتماعي.

٢٢

زهد الحكام

من الضروري على الحكام في بلاد الإسلام وخصوصا حكام العراق ـ إذا أرادوا تطبيق الإسلام ـ الالتزام بـ

١ـ وسائل الشيعة ج١٥ ص١٠ ب٥ ح٩، مكارم الاخلاق ص ١٩٨ وص٢٠١، نوادر الروانديي ص٣٦.

٢ـ بحار الانوار: ج٤٣ ص١٣٠ ب٥ ح٣٢.

٣ـ غوالي اللئالي ج١ ص٣٨١ وغرر الحكم ص ٤٨٣ الفصل التاسع، الحديث ١١١٤٦.

٤ـ سورة البقرة: ١٨٥.

٥ـ راجع كتاب (حكومة الرسول (ص) والإمام امير المؤمنين (عليه السلام)) وكتاب (ولاول مرة في تاريخ العالم) وكتاب (الحكومة الاسلامية في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام)) للإمام المؤلف (دام ظله).

٦ـ كشف الغمة ج٢ ص٢١، بحار الانوار ج١٠٢ ص١٠٨ (بيان).

(الزهد) عن زخارف الدنيا والاقتناع بالضروري من العيش.

فإن الناس يلتفون حول الزاهدين ويطيعون أوامرهم ويعرفون بذلك صدقهم ولذا تحملهم القلوب.. وفي إحدى زيارات الإمام الحسين (عليه السلام): (في قلب من يهواك قبرك) ولذا سقطت كل تلك الابّهات التي كانت تحف بالخلفاء، وبقي الإمام الحسين (عليه السلام) يتألق كالنجم الساطع بل كالشمس المضيئة على مر التاريخ وسيبقى إلى الأبد.

وان المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) على ارتفاع منزلتهم في الخلق فإنهم (عليهم السلام) خلقوا من جوهر رفيع جدا بل هم (عليهم السلام) في قمة الرفعة مع ذلك نقرأ في دعاء الندبة:

(بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم)(١).

فقد كان زهدهم (عليهم السلام) شرط قبول الله سبحانه لهم مع انه قال تعالى: ((قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق))(٢).

هذا بالإضافة إلى ان زهد الحاكم يوفر على الأمة أقصى قدر ممكن من المال إذ المال ليس مالا للحاكم بل هو مال الأمة فإذا كان المال دولة بين الحكام وخاضعا لتصرفاتهم المطلقة وتعرضهم الطاغي ـ ومن الواضح ان الحاكم ليس فردا أو عشرة أو مائة بل تحتف به حاشية كبيرة من المتملقين والعاطلين والموظفين ـ لم يبق شيء للامة كما نشاهد ذلك في الحكام المستبد ين الذين يصرفون أموال الأمة في اللهو والعبث والتطبيل لأنفسهم.

وقد ورد عنه (عليه السلام) في وصف بني أمية: (فيتخذوا مال الله دولا)(٣)،وكذلك وصفهم أبوذر (رحمه الله) حيث قال: (اتخذوا مال الله دولا)(٤).

ولا يخفى ان الزهد الذاتي زائدا الاستشارية (الديمقراطية) التي توجب رقابة الأمة للحكام ومزيداً من تقيدهم في منهج التعامل وفي كيفية صرف الأموال فلا يتمكنون من التصرف في أموال الأمة تصرفا سيئا، يوفر حاجات الأمة..

والزهد وإن كان صعبا على الجسم لكنه راحة للروح حيث ان فيه لذة عظيمة لاتصل إليها لذائذ الجسم(٥).

١ـ دعاء الندبة: جمال أسبوع ص٥٥٣، الاقبال ص٢٩٥.

٢ـ سورة الاعراف: ٣٢.

٣ـ نهج البلاغة: الكتاب ٦٢، الغارات ص٢١١. وراجع مثير الاحزان ص٢٥ وكتاب سليم بن قيس ص١٩٦.

٤ـ راجع بحار الانوار ج٤٦ ص٣٣٧ ب ٨ح٢٤.

٥ـ ان قوانين التاريخ تحدثنا بان الزهد هو طريق التقدم والسعادة، وان الترف والبطر هو طريق التحطم والزوال، وفي الآية القرآنية الكريمة: ((واذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً)) (سورة الاسراء: ١٦) ومطالعة التاريخ يكشف لنا ذلك فالامم والحكام الذين يتمتعون بالزهد تقدموا بالحياة، والحكام الذين اتخذوا الترف واللعب واللهو قادوا الامم نحو الفناء.. ومن أهم ضمانات وجود الزهد هو الديمقراطية والتعددية التي تمنع الحكام في التصرف المطلق بكل شيء.

٢٣

محاربة الفساد

من الضروري على الدولة الإسلامية التي تقوم في العراق أو غيره محاربة الفساد بأقسامه كالفساد الإداري والاجتماعي والاقتصادي وغير ذلك فإن الفساد يوجب تأخر الأمة وتدمر الشعب بعد أن يسلب اطمئنانهم بالدولة.

فالفساد الإداري يحصل بالرشوة وتقديم المحسوبية والمنسوبية وتأخير أعمال الناس الى غد وبعد غد(١) بما يتضمن ذلك من تلف العمر والمال.. وأخيرا يوجب التضجر العام وكثيرا ما ينتهي إلى سقوط الحكومة وقد ورد عن علي (عليه السلام) انه: (يستدل على أدبار الدول بأربع: تضييع الأصول والتمسك بالغرور وتقديم الأراذل وتأخير الأفاضل)(٢).

وقال (عليه السلام): (تولي الأراذل والأحداث الدول دليل أنحلالها وأدبارها)(٣).

وسئل أحد مشايخ بني أمية بعد سقوط دولتهم عن سبب السقوط؟.

فقال: لأنهم وكلوا الأمور الكبيرة إلى الصغار والأمور الصغيرة إلى الكبار، فلا الصغار كانت لهم كفاءة ادارة الأعمال الموكلة إليهم ولا الكبار عملوا بما أوكل إليهم لأنفتهم.. وبين هذا وذاك ضاعت الدولة.

أقول: ولماذا فعل بنو أمية ذلك؟

الجواب: لأن الصغار أكثر تملقا واطاعة.. والكبار حيث يدركون كثيرا من الحقائق وينتقدون، لذلك عزلوهم عن كبريات المهام ووكلوا إليهم أمورا صغيرة وقاية عن شر هم بالتطفيل وهذا ما رأيناه في كل حكومة استبدادية ولذا رأينا سقوطها سقوطا مشينا.. أما لو كانت قد استقامت في عملها لكانت تعيش أضعاف أعمارها وهذا هو المترقب في من تبقى من الدكتاتورين.

أما الفساد الاجتماعي والأخلاقي، فمثل تفشي الخمر والقمار والزنا والشذوذ الجنسي والاحتيال والخداع والكذب والنميمة إلى غير ذلك.

وأما الفساد الاقتصادي: فمثل الانحراف في الرأسمالية كالاحتكار وكون المال دولة وسوء توزيع الثروة مما يقتل الغني بطنة والفقير جوعا.. قال علي (عليه السلام):

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القدّ(٤)

١ـ مما يسمى بالروتين الاداري والبيروقراطية.

٢ـ غرر الحكم ص٣٤٢ الفصل الخامس مواعظ للحكام ح٧٨٣٥.

٣ـ غرر الحكم ص٣٤٥ الفصل السادس عمال الدولة ح٧٩٢٥.

٤ـ بناء المقالة الفاطمية ص٢٤٧. والديوان المنسوب الى أمير المؤمنين (عليه السلام) ص٦٢. وفي شرح نهج البلاغة لابي ابن الحديد ج١٦ ص٢٨٢: وحسبك عارا..

٢٤

الإصلاح الاجتماعي

ومن الأعمال الإيجابية التي يجب أن تقوم بها الدولة الإسلامية هو تعديل مواطن الانحراف وتوجيه الانحرافات الاجتماعية نحو الأعمال السليمة والشريفة، عبر ايجاد الأجواء الصالحة لذلك مثل تبديل الحانات ودور الرذيلة إلى مكاسب شريفة وصالحة وانتشال الغارقين في الانحراف ومساعدتهم على أن يصبحوا أفرادا صالحين ومفيدين في المجتمع.

وهذا يعني أنه لا يصح المعاقبة للأعمال السابقة أو تعطيل أعمالهم بدون ايجاد بديل وعمل صحيح يجنبهم السقوط في العمل المنحرف مرة أخرى.

أما المعاقبة فتعني سقوط الدولة في مستنقع الانتقام وقد ذكرنا في فصل سابق لزوم إعطاء الدولة العفو العام.

وأما تركهم وشأنهم بدون ايجاد البديل الصالح فذلك يوجب تكثير البطالة أو رجوعهم إلى أعمالهم السابقة وقد ورد أن أمير المؤمنين عليا (عليه السلام) زوّج مومسة.

بالإضافة إلى ان ذلك من مراتب النهي عن المنكر.

فإذا شكلت الدولة لجنة لأجل هذه الأمور أمكن العلاج بسرعة وبدون مضاعفات ومشاكل.

وكذلك الحال بالنسبة إلى البنوك الربوية فإن علاجها تبديلها إلى المضاربة تحت إشراف لجنة من الخبراء الاقتصاديين منضما إليهم علماء دينيون أما إلغاء الربا بشطبة قلم بدون دراسة وإيجاد البديل الأحسن ـ كتقنين المضاربة ونحوها ـ فذلك يوجب:

أولا: تهريب رؤوس الأموال من البلاد فإن رأس المال جبان ـ كما في المثل ـ وذلك يوجب سقوط الدولة في مساقط التضخم بويلاته الكثيرة.

وثانيا: سحب الناس أموالهم من البنوك مما يسبب افتقار البنوك وهي عصب اقتصادي هام للدولة وكثيرا ما يسبب التضجر والتأفف مما يضر بسمعة الدولة ويسبب تزعزعها الاقتصادي.

٢٥

العدالة والمساواة

العدالة هي عبارة عن وضع الشيء في موضعه سواء كان بمساواة أو بدونها، ولذا فبينهما عموم من وجه([1]).

١ـ اصطلاح علمي منطقي.

مثلا: شخصان أحدهما كبير الجثة طويل القامة يحتاج إلى أربعة أذرع من القماش لأجل خياطة الثوب لنفسه والآخر يحتاج إلى أقل من ذلك، فالعدالة تقتضي إعطاء كل بقدر حاجته، بينما ليس ذلك من المساواة.

نعم يلزم المساواة في القضايا العامة كالقضاء والديات وإيجاد فرص العمل والثقافة والصحة وما إلى ذلك.

وعدم العدالة في موردها وعدم المساواة في موردها من أشد أنواع الظلم، فإن الظلم قد يكون ظلما للنفس وقد يكون ظلما للغير، وهذا الثاني أشدهما حرمة ونكالا.

والناس لايصبرون على عدمهما إذ يرون أنفسهم ـ بفطرتهم وبعقولهم ـ سواسية كأسنان المشط،ويرون انه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، كما ورد في الأحاديث.

وهذان أمران عقليان قبل أن يكونا شرعيين والشرع إنما جاء متطابقا مع الفطرة التي هي عقلية أيضا قال الله سبحانه: ((إنا خلقناكم من ذكر وا نثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم))(١).

وقال علي (عليه السلام) في الشعر المنسوب إليه:

الناس من جهة التمثال أكفاء***أبوهم آدم والأم حواء(٢).

لذا فاللازم على الحكومة الإسلامية إذا قامت في العراق بإذن الله سبحانه ـ كما هو حال الحكومة الإسلامية في أي مكان وجدت ـ أن تراعي هذا الجانب الإسلامي الإنساني بكل قوة واتقان وتعمل بوظيفتها وبذلك تستقطب القلوب حول نفسها مما يؤدي إلى الأمن الأكثر والاستقرار الأدوم.

* * * * *

وهذا آخر ما أردنا ايراده في هذا الكتاب والله الموفق المستعان.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة

٥/ ربيع الثاني/ ١٤١٥ هـ ق

محمد الشيرازي

١ـ سورة الحجرات: ١٣.

٢ـ الديوان المنسوب الى أمير المؤمنين (عليه السلام) ص٢١.

نص جواب

آية الله العظمى الإمام السيد محمد الشيرازي

(قدس سره)

على سؤال جماعة من المؤمنين عن آرائه حول الصورة المستقبلية للعراق(١):

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على الأخوة المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

لقد سألتم عن العراق والصورة التي ينبغي أن يكون عليها في المستقبل بعد سقوط النظام الحالي بإذن الله تعالى، وسنشير ههنا إلى بعض البنود حسب ما يستفاد من الموازين الإسلامية المطابقة للموازين الإنسانية الفطرية، قال تعالى: ((فطرت الله التي فطر الناس عليها))(٢).

١: يجب أن تكون الأكثرية هي الحاكمة كما يجب إعطاء الأقلية حقوقها، فإن الأكثرية كان لها الدور الأكبر في إنقاذ العراق مرارا عديدة في هذا القرن: مرة في ثورة العشرين ومرة أخرى في الحرب العالمية الثانية حيث أفتى العلماء بوجوب إخراج المستعمرين من قاعدة (الحبانية) فتحرك الشعب العراقي بأسره حتى أخرجهم، ومرة ثالثة: ابان المد الأحمر.. وقد سجلت الكتب التاريخية تلك الحوادث بتفاصيلها.

وقد قال الله سبحانه وتعالى: ((وأمرهم شورى بينهم))(٣).

١ـ لقد كان الإمام الشيرازي (دام ظله) يرى حول مشكلة العراق، انه اضافة الى ضرورة اسقاط الديكتاتور الطاغية لابد من توافر بنية أساسية داخلية تعتمد على الشورى والتعددية والحرية واحترام حقوق الإنسان وحقوق الاقليات، وفيما طرحه الإمام الشيرازي أيام الانتفاضة في بيان صدر له جواباً لبعض المؤمنين عن الصورة المستقبلية في العراق، دلالة واضحة عن العمق الفكري الذي اتخذه سماحة الإمام (دام ظله) في دراسة القضية العراقية، اذ ان تصوره يعتمد على حل المشكلة العراقية من جذورها، وهذه النقاط التي ذكرها الإمام الشيرازي تعد بحق وثيقة تاريخية تعبر عن رأي المرجعية الدينية المنبثقة من واقع العراق الإسلامي.

٢ـ سورة الروم: ٣٠.

٣ـ سورة الشورى: ٣٨.

وقال جل وعلا: ((وشاورهم في الأمر))(١).

وورد في الحديث الشريف: (لئلا يتوى حق امرئ مسلم)(٢).

٢: من الضروري استناد الدولة إلى المؤسسات الدستورية حيث يلزم منح الحرية لمختلف التجمعات والتكتلات والفئات والأحزاب غير المعادية للإسلام في إطار مصالح الأمة، كما يلزم أن تكون الانتخابات حرة بمعنى الكلمة وان توفر الحرية للنقابات والجمعيات ونحوها كما يلزم أن تعطى الحرية للصحف وغيرها من وسائل الإعلام ويلزم أن تمنح الحرية لمختلف أصناف المجتمع من المثقفين والعمال والفلاحين و... كما تعطى المرأة كرامتها وحريتها كل ذلك في إطار الحدود الإسلامية الإنسانية قال تعالى: ((لا إكراه في الدين))(٣).

وقال تعالى: ((يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم))(٤).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حر ا)(٥).

٣: اللاعنف هو المنهج العام في الداخل والخارج، كما قال تعالى: ((ادخلوا في السلم كافة))(٦) فإنه هو الأصل ونقيضه استثناء.

٤: يجب أن تراعى حقوق الإنسان بكل دقة حسب ما قرره الدين الإسلامي الذي يتفوق على قانون حقوق الإنسان المتداول في جملة من بلاد العالم اليوم فلا إعدام مطلقا إلا إذا حكم ـ في كلية أو جزئية ـ مجلس (شورى الفقهاء المراجع) إذ في صورة الاختلاف بينهم يكون من الشبهة و (الحدود تدرأ بالشبهات)(٧) كما ينبغي تقليص عدد السجناء إلى أدنى حد حتى من الحد المقرر في العالم اليوم كما لا تعذيب مطلقا وكذلك لا مصادرة للأموال مطلقا.

٥: وبالنسبة إلى ما سبق يتمسك بـ: ((عفى الله عما سلف))(٨) كما عفى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أهل مكة: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)(٩) وعن غير أهل مكة، وكما صنع ذلك الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ويؤيده ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام): ان حديث (الجب)(١٠) أولى بالجريان بالنسبة إلى المسلمين من جريانه في حق غيرهم.

٦: للأكراد والتركمان وأمثالهم كامل الحق في المشاركة في الحكومة القادمة وفي كافة مجالات الدولة

١ـ سورة آل عمران: ١٥٩.

٢ـ غوالي اللئالي ج١ ص٣١٥.

٣ـ سورة البقرة: ٢٥٦.

٤ـ سورة الاعراف: ١٥٧.

٥ـ نهج البلاغة: الكتاب ٣١.

٦ـ سورة البقرة: ٢٠٨.

٧ـ وسائل الشيعة: ج١٨ ص٣٩٩ ب٢٧ ح١١، وفيه: (ادرأوا الحدود بالشبهات).

٨ـ سورة المائدة: ٩٥.

٩ـ الكافي: ج٣ ص٥١٣ ح٢.

١٠ـ غوالي اللئالي ج٢ ص٥٤ ح١٥٤ وفيه: (الإسلام يجب ما قبله).

والامة فقد قال الله سبحانه: ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وا نثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم))(١).

وقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا فضل لعربي على العجمي ولا لأحمر على الأسود إلا بالتقوى...)(٢).

٧: ينبغي أن تتخذ الدولة القادمة سياسة (المعاهدة) أو (المصادقة) مع سائر الدول في اطار مصلحة الأمة كما قام بذلك الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) مع مختلف الفئات غير الإسلامية حتى المشركين، ويستثنى من ذلك عدة صور منها: صورة احتلال الكفار والمشركين لبلاد المسلمين كما حدث في فلسطين وأفغانستان حيث يجب على جميع المسلمين عندئذ الدفاع إذ (المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى)(٣).

٨: المرجع الأخير في دستور الدولة الإسلامية القادمة في العراق وفي رسم السياسة العامة والخطوط العريضة هو (شورى الفقهاء المراجع) حسب ما قرره الإسلام، قال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): (المتقون سادة والفقهاء قادة)(٤). ومن الواضح ان الفقهاء المراجع يتعاونون مع الحوزات العلمية ومع المثقفين والأخصائيين في كافة الحقول الاختصاصية فإن ذلك هو مقتضى المشورة والشورى كما قال تعالى: ((وشاورهم في الأمر))(٥) و) أمرهم شورى بينهم))(٦).

٩: يجب على كافة المسلمين السعي لكي تتوحد بلاد الإسلام وتنصهر في دولة واحدة إسلامية.. ذلك ان المسلمين امة واحدة كما قال تعالى: ((وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون))(٧) وقد أسس الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أساس الدولة العالمية الواحدة حيث توحدت في حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) تسع دول تحت راية الإسلام ـ على ما ذكره المؤرخون ـ وفي هذا القرن كانت الهند مثالا لذلك كما ان اوربا تحاول التوصل إلى ذلك.

ومن الواضح ان تفكك الدول الإسلامية ووجود الحدود الجغرافية بينها من الأسباب الرئيسية في تخلف المسلمين من جهة وفي تناحرهم وتحاربهم من جهة أخرى وفي تفوق المستعمرين عليهم واستعمارهم من جهة ثالثة.

١٠: يلزم حث المجاميع الدولية كي تقوم بالضغوط الشديدة على كل حكومة تريد ظلم شعبها، ذلك ان الإنسان من حيث هو إنسان لا يرى فرقا بين ظلم أهل الدار بعضهم لبعض وبين ظلم الجيران بعضهم لبعض.

١ـ سورة الحجرات: ١٣.

٢ـ الاختصاص: ص٢٤١.

٣ـ راجع اعلام الدين ص٤٤٠، والمؤمن ص٣٩ ح٩٢.

٤ـ مجموعة ورام ج٢ ص٥٣، مكارم الاخلاق ص٤٦٠، اعلام الدين ص١٩١.

٥ـ سورة آل عمران: ١٥٩.

٦ـ سورة الشورى: ٣٨.

٧ـ سورة المؤمنون: ٥٢.

وهذا هو ما يحكم به العقل أيضا ولا يجوز في حكم العقل والشرع أن ندع أمثال موسيليني وهتلر وستالين يفعلون ما يشاؤون بشعوبهم تشريدا ومطاردة ومصادرة للأموال وقتلا للأنفس بحجة انها شؤون داخلية.. فإذا اشتكى أبناء بلد عند سائر الأمم كان عليهم أن يرسلوا المحامين والقضاة فإذا رأوا صحة الشكوى أنقذوا المظلوم من براثن الظالم.

(اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة)(١).

محمد الشيرازي

١ـ دعاء الافتتاح، راجع (مفاتيح الجنان) و (الدعاء والزيارة) أعمال شهر رمضان.